محاكمة فكر سيد قطب رحمه الله
بأحكام الوحي والفقه فيه من أهله

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون أوروبي،
والعلوم الشرعية لا يجوز تحجيرها ولا
احتكارها، ونشرها ابتغاء وجه الله عبادة صالحة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

محاكمة فكر سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ
بأحكام الوحي والفقه فيه من أهله

هل ذمّ موسى عليه السلام؟	هل أسقط ولاية عثمان رضي الله عنه؟	هل ذمَّ عددًا من كبار الصحابة؟	هل لمز عددًا من المبشرين بالجنة؟
هل دعا إلى أحديّة الوجود؟	هل جَهِل معنى لا إله إلا الله؟	هل خلَطَ بين العبوديّة والربوبيّة؟	هل أهمل الأمر بإفراد الله بالعبادة؟
هل أهمل النَّهي عن شرك العبوديّة؟	هل وضع الحاكميّة فوق الألوهية؟	هل كفَّر عامَّة المسلمين؟	هل قال بخَلْق القرآن؟
هل أوَّل فعطَّل صفات الله؟	هل أقرَّ الحُكْم بغير ما أنزل الله؟	هل وصَفَ القُرآن بألفاظ اللَّهو؟	هل قدَّم جمال لفظه على تدبُّر معناه؟

كاتب الضَّبط: سعد بن عبد الرحمٰن الحصيِّن
عفا الله عنه

قال سيِّد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: (... تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج، ومن الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون بالوصف الذي يستحقونه - أيًّا كانوا - وألا تبرّر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبدًا...)

[«في ظلال القرآن» (١/٥٣٣) دار الشروق]

خطبة الحاجة من صحيح مسلم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد..

فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.

مقدمة
عن حياة سيِّد قطب الفكرية

يقول أبرز مؤيِّدي سيِّد قطب، والغالين فيه، وكاتب سيرته: د. صلاح بن عبد الفتاح الخالدي: بأن سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ نشأ في قريته [كما ينشأ الأطفال فيها على التَّقاليد الدِّينيّة التي شوَّهها الابتداع في الاعتقاد والعمل[1]]، ثم انتقل إلى القاهرة لإكمال دراسته، وهناك أقبل على الأدب والنقد والتَّلقِّي من الثقافة الغربيّة الماديَّة [والصوفيّة الهندية]، مما جعله يمرُّ بمرحلة من الشكِّ والارتياب في الحقائق الدِّينية إلى أقصى حدّ.

وفي مرحلة ضياعه ـ عن الدِّين ـ صار يدرس القرآن لدواعٍ أدبيَّة؛ فنقله القرآن إلى مرحلة جديدة [انتهت بتوجيه قلمه وفكره للدعوة إلى الدِّين على منهاج حزب الإخوان المسلمين].

(١) كل ما بين المعقوفات في هذا الكتاب من بيان المؤلف.

يقول د. صلاح الخالدي في بيان حال سيِّد قطب في مرحلة ضياعه الدِّيني: (إنّ هذه المرحلة من شكِّ سيِّد وارتيابه في الحقائق الدِّينيه إلى أقصى حدٍّ استمرَّت نحو خمس عشرة سنة بين عام ١٩٢٥ و١٩٤٠، حيث بدأت أثناء دِرَاستِه الثانوية، وبلغت أوجها في آخر دراسته في (دار العلوم)، واستمرت في أعلى درجاتها أثناء حياته الوظيفيّة وبخاصة في السّنتين الأُولَيَيْن منها، إلى أن أوشكت على الزّوال عام ١٩٤٠)[1]، [وعمره (٣٦) سنة].

قلت: ثم بدأ سيِّد قطب ـ تجاوز الله عنا وعنه ـ يعمل فيما يظنُّه خدمةً للإسلام وتصحيحًا لتاريخ المسلمين، فلم تؤهِّله (دار العلوم) في مرحلة ضياعه الدِّيني للعلم ولا العمل الشرعي ولا الدعوة إليهما على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فلم يُبْدِ ـ مثل بقية حزبه ـ أيّ اهتمام بأوَّل وأعظم ما أرسل الله به خاتم النبيّين وجميع الرسل من قبله: الأمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن إشراك أحد أو شيء من خلقه معه في دعائه وجميع أنواع عبادته (وأبرز مظاهره تقديس أوثان المقامات والمزارات والأضرحة).

واختار سيِّد التركيز على ما ظنَّه روح الإسلام: (سياسة الحكم وسياسة المال)، وبعد عشر سنوات مما تخيَّله د. صلاح

(١) انظر كتاب: «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

الخالدي نهاية مرحلة الضَّياع الدّيني في حياة سيِّد قطب أخرج كتابه (العدالة الاجتماعية) وأهمّ ما كان ينقصه: الحقّ والعدل في أكثر صفحات كتابه.

توهّم سيِّد قطب أنّ يد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه مقيّدة شرعًا عن الإنفاق من فائض بيت المال بما أراه الله، بعد أن (اتَّسع المال عن المقررات للناس) وبعد (إعطاء الناس حقوقهم)، وأنه ليس في حلّ أن (يبرّ بعضهم حسب تقديره) فحكم على عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بالانحراف قليلاً عن النظرة الإسلامية والتصور الإسلامي في سياسة المال والحكم) حسب تعبيره، فأسقط عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخلافة الراشدة، وجعله (فجوة بين عهد الشيخين وعهد عليّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا وأرضاهم، مع أنه في مجلة (الرسالة) العدد (٩٧٧) في ٢٤/ ٣/ ١٩٥٢ يروي حديث: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة» لا ليذكّر نفسه وغيره بفضل خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، بل ليستشهد (بإضافة لا تثبت عن سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) على ظلم بني أميّة منذ عهد عثمان.

وكتب الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ سلسلة مقالات في مجلة (المسلمون) و(الرسالة) يبيّن خطأ سيِّد قطب وينتصر لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي ذكر أمثلة لذلك إن شاء الله تعالى. وغضب سيد رَحِمَهُ اللَّهُ، فوصف بيان محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ بـ (الصخب الصاخب الذي لم يستشعر فيه أثرًا من صفاء نيّة ولا رغبة في تجلية حقيقة) بل هو (إثارة صخب ونَفْض غبار،

وأسوب صاخب مفرقع وصخب مفتعل وتشنّج مصطنع) الرسالة عدد ٩٧٧.

ولعلّ الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ أول من ردَّ على سيِّد قطب شيئًا من أخطائه، ولكنّ أبرز وأوّل من أنكر أخطاء سيِّد قطب في التفسير: الشيخ عبد الله الدّويش رَحِمَهُ اللَّهُ، فأنكر عليه نحوًا من (١٨٠) خطأ تبلغ بسيّد درجة القول على الله بغير علم، وذلك في كتابه (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال).

أمّا الشيخ د .ربيع المدخلي ـ أثابه الله ـ فكان أكثر من غيّر منكرات سيِّد قطب بقلمه شمولاً وانتشارًا؛ فتتبَّع أخطاء عدد من كتب سيِّد في أربعة من مؤلَّفاته: (أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره) و(مطاعن سيِّد قطب في أصحاب رسول الله) و(العواصم عمّا في كتب سيِّد قطب من القواصم) و(الحدّ الفاصل بين الحق والباطل)، إضافة إلى عدّة رسائل ومقالات في قضايا مفردة من شطحات سيِّد قطب الفكريّة بالدليل من الوحي والفقه.

وهبّ عدد من شيعة سيِّد قطب يدافعون عنه بالفكر (وهو الهوى والظّنّ)، قال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦] ـ عفا الله عنا وعنهم جميعًا ـ.

ومن العدل والإحسان أن نبيِّن الحقَّ وننكر الباطل ونَمِيز

الخبيث من الطيّب، وأن نرحم الخلق فنحسن الظنَّ بنيّاتهم كما قال الله تعالى عن شرار خلقه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، ولإخواننا المنتمين إلى الإسلام والسُّنّة علينا أن ندعو الله أن يهدي الأحياء ويرحم أموات الموحِّدين منهم لله بالعبودية والربوبيّة (ومن الرّبوبيّة الأسماء والصفات ومنها ما سُمِّي: الحاكمية).

واختلف الناس في فكر سيِّد قطب ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ، فيرى المؤيِّدون له وأكثرهم من الفكريين في أسلوب سيِّد ما يجذب شباب الأمة إلى الدِّين، ويثير غيرتهم على الحكم بما أنزل الله، ويرون أن أكثر أخطاء سيِّد لا يتجاوز الخطأ في اختيار الألفاظ.

ويرى المخالفون وأكثرهم من أهل العلم الشرعي خَطَرَ الخلط بين الوحي اليقينيِّ الثابت، وبين الفكر الظني المضطرب المتناقض، وخطر الفتنة في جرأة سيِّد ـ تجاوز الله عنه ـ على التكفير بالمعصية، والإعراض عن التحذير من الإشراك بالله في عبادته، (وما دونه من البدع التي تلازم غالبيَّة المسلمين منذ قرون يتقرَّبون بها إلى الله)، والإعراض عن نشر التوحيد والسنَّةِ، والانشغال بالمهم عن الأهم، والصغيرة عن الكبيرة الموبقة، ويرون أكبرَ الخطر في اتِّباع أكثر شباب الأمَّةِ (ومنهم بعض طلّاب العلم الشرعي والدعاة والواعظين) هذا النَّهجَ الذي

زُيِّن لهم، ونشروه في أكثر مكتبات المساجد، ودور القرآن، والمراكز الصَّيفيةِ، والجمعيَّات، والرحلات الخلوية والمدرسيَّة والاستراحات ونحوها وحِلَق التَّحفيظ، واتَّخذوا منه منهجًا محدثًا للدّين والدعوة يفرِّق جماعة المسلمين بل يفرِّق الدِّين ويجعل أهله شِيَعًا.

يقول الشيخ د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الفريد (حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات والأحزاب الإسلامية، ط٢ دار ابن الجوزي، عام ١٤١٠، ص٦٠ ـ ٦١) تحذيرًا من الخروج على جماعة المسلمين الواحدة بإحداث جماعات ومناهج وأحزاب دينيَّة متعددة: (جماعة المسلمين على منهاج النبوّة، لا تقبل التَّشطير ولا التَّجزئة، فالنبيُّ ﷺ ثم صحابَتُهُ رضي الله عنهم فمن تَبِعَهُم بإحسان، كانت دعوتهم لتكوين (جماعة المسلمين) حاملةً رايَةَ التّوحيد، لا (لجماعة من المسلمين)؛ وأنَّهم هم المسلمون، وهم الطائفةُ المنصورة، وهم الفرقة النّاجية، وهم السَّلفُ الصَّالِح، وهُم مَن كان على مثل ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه، وأَمَرَ بلزومهم، ونهى عن مفارقتهم والشذوذ عنهم، كما نهى عن تفرُّقِهم، ونصوصُ الكتاب والسُّنّة في هذا متكاثرةٌ).

[منها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ فالتَّشيُّعُ لِفردٍ أو جماعةٍ، أو أمير أو منهاج محدث، أو تنظيم، أو سِمَة خاصَّةٍ؛ مرادف للتَّفرُّقِ في الدِّين، والانعزال عن جماعة المسلمين].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا هو المفهومُ الشَّرعيُّ لجماعة المسلمين، متآخون على مِنهَاجِ النُّبوَّةِ، ينتظمهم إمامٌ ذو شوكةٍ وَمَنَعَةٍ). (حكم الانتماء ص٦١)

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (وليس لهم جماعة من المسلمين، بل جماعتهم المسلمون، إذ الأصل لا يحتاج إلى سِمَةٍ خاصَّةٍ تُمَيِّزُهُ، إنَّما الذي يحتاج إلى اسم معيَّن هو الخارج عن الأصل مِن تلكُمُ الجماعات التي انشقّت عن الأصل ـ جماعة المسلمين ـ). (حكم الانتماء ص ٣٧)

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا انخزل فرد من المسلمين، أو انخزلت فرقة عنهم؛ فهذا انشقاق على المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو في طبيعة حاله انخزال عن كلِّ الإسلام على منهاج النُّبوَّةِ، وعكسٌ لما أوصى به النَّبيُّ ﷺ من اعتزال الفرق كلِّها، ولزوم جماعة المسلمين، فهذا اعتزل جماعة المسلمين والتزم بالفرقة المفارقة لهم باسم أو رسم). (حكم الانتماء ص٦٢)

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا يجوز عقد الموالاة على اسم دون اسم الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام، ولا موالاة بعض المسلمين دون بعض تحت اسم معيَّن لجماعةٍ دون جماعةٍ آخرين). (حكم الانتماء ص ٦٢ ـ٦٣)

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله ـ تعالى ـ قد سَمَّانا في القرآن:

المسلمين، المؤمنين، عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمّانا الله بها إلى أسماء ما أنزل الله بها من سلطان).

(حكم الانتماء ص ٣٩)

ويرى رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن هذه الأحزاب، والجماعات الإسلاميّة القائمة في عصرنا، مرفوضة سندًا ومتنًا، وأنها امتداد للفِرق والطوائف التي انشقَّت عن جماعة المسلمين بعد عصر الخلافة الرَّاشدة، وإن اختلفت في اللَّقب والشِّعار، وشيء من التخطيط والمنهج).

(حكم الانتماء ص٩ و٦٢ و١٠٨ و١٣٥ بصيغة سؤال وجواب)

وهذا البيان المدوّي مِن الشيخ بكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن مخالفة الجماعات والأحزاب الإسلاميّة شَرْعَ الله بمجرد وجودها ـ فضلاً عن آثارها ـ هو رأي جميع علمائنا وعلى رأسهم الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهم متَّفقون بصفةٍ خاصَّة على حفظ جزيرة العرب مِن تعدُّدِ الجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلاميَّة؛ لأنَّ الله ميَّزها بالنُّبوَّة والوحي والهجرة والخلافة الرَّاشدة، والفقه في الدِّين في خير قرون المسلمين، ثمَّ ميَّزها بتجديد الدِّين والدَّعوة على منهاج النُّبوَّة ثلاث مرات في القرون الثلاثة الأخيرة.

يقول الشيخ بكر رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (خصائص جزيرة

العرب): (والجماعات إن استشرى تعدُّدها في الجزيرة؛ فهو خطر داهم يهدِّد واقعها ويهدم مستقبلها).

(خصائص جزيرة العرب ط٢ عام ١٤٢١ ص٥٣)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فواجبٌ ـ والله ـ تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضَّالّة، وأن تبقى عنوان نَصر للكتاب والسُّنَّةِ، والسَّير على هدي سلف الأمَّة، حربًا على البدع والأهواء المضلَّة). (المصدر نفسه، ص٥٤)

ويقول الشيخ د. بكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن منهاج الدعوة: (حقيقة الدعوة توقيفيَّة، لا مجال للاجتهاد فيها، حقيقةُ الدعوةِ أمرٌ ثابتٌ لا يتغيَّرُ ولا يتحوَّلُ بتغيُّرِ الأزمان والمكان والأحوال).

(حكم الانتماء ط٢ دار ابن الجوزي عام ١٤١٠ ص١٥٧)

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التَّوقيف على منهاج النُّبوَّة، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فَهُوَ رَدٌّ» [متفق عليه]**، وفي لفظ [لمسلم]: «من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا؛ فهو رد».**

(المصدر نفسه، ص١٥٧]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (مِن الوسائل التي تُهَجِّنُ الدعوة، وتثير الشغب، وتجعل الأمَّة شِيَعًا: تلكُمُ البيعةُ البدعيَّةُ الممتدَّةُ مِن

معين المتصوِّفَةِ إلى مستحدث بعض الجماعات الإسلاميَّة، وهكذا الأهواء يجرُّ بعضها بعضًا).

(المصدر السابق ص١٦١)

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا محلُّ إجماع الأمة، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١/ ٢٧٣): (فأمَّا إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد، وبلد واحد؛ فلا يجوز إجماعًا).

(المصدر السابق ص١٦٢)

بل إنَّ سيِّد قُطب نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (مصلحة الدَّعوة الحقيقيَّة في استقامتها على النَّهج [النَّبَويِّ][1] دون انحرافٍ قليل أو كثير، أمَّا النتائج؛ فهي غيب لا يعلمه إلاَّ الله، فلا يجوز أن يَحْسِب حملة الدعوة حساب هذه النتائج، إنَّما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصَّريح الدَّقيق، وأن يَدَعُوا نتائجَ هذه الاستقامَةِ لله، ولن تكون إلاَّ خيرًا في نهاية المطاف.. ولقد تتحوَّلُ (مصلحةُ الدعوة) إلى صَنَم يتعبَّدُهُ أصحاب الدعوة، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل).

(في ظلال القرآن ط. دار الشروق ص٢٤٣٥

❁ ❁ ❁

(١) ما بين المعقوفين في كل الكتاب من إضافة المؤلِّف.

ميزان النقد الشرعي

ميزان النَّقد في هذا البحث لما قال سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ وما قيل عنه، يَقُوم على:

١) التَّبيُّن والتثبُّت قَبلَ الحُكْم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجرَات: ٦]، **فلا يجوز الحكم عليه بمجرد رواية مُؤَيِّدٍ أو مخالفٍ له، أو إشاعةٍ عنه بخير أو شرّ لا يعرف مصدرها، مِن أنَّه ـ مثلاً ـ طُلِبَ مِن سيِّد أن يُسَطِّرَ بقلمه كلمات اعتذار فقال: (إنّ أصبعًا أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضارها).. أو نحو ذلك، وبخاصة إذا رُوِيَت هذه الإشاعة في معرض المطالبة بالتَّغاضي عن أخطاء كبيرة في الاعتقاد فما دونه، ممن رُويت عنه، وليس من عادة المحاكم العسكرية ولا الشرعيّة الاكتفاء بالاعتذار ممّن اعترف بالتخطيط وجلب السلاح والمتفجرات لاغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدد من كبار الموظفين، ونسف محطة الكهرباء**

والجسور وعدد من المنشآت في مصر، وإن وصفه سيّد رَحِمَهُ اللَّهُ: دفاعًا عن النفس.

(لماذا أعدموني، ط. الشرق الأوسط، ص٥٠ ـ ٦١]

٢) الأحكام البشريَّةُ لا تكون إلاَّ على حاضر وماضي الأقوال والأفعال الثابتة، أمَّا ما يُضْمِرُهُ القلبُ وما في الغيب؛ فحكمُه إلى الله وحده، وأما ما تردِّدُه الإشاعات دون توثيق؛ فلا يعتمد عليه مهما كثر وانتشر.

والقرائن لا يعتمد عليها في مثل هذا، بدليل قول النبي ﷺ لأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فهلاَّ شققتَ عن قلبه؟» [متفق عليه]. وقال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، فمن حقِّ المسلم على المسلم إحسان الظَّنِّ بمقصده مهما بلغت أخطاؤه، فلن يكون أسوأ من الأخسرين أعمالاً: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

٣) عرض أقوال سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ على نصوص الوحي كما فهمها أئمة العلم في القرون المفضَّلةِ، وقبول ما وافقها، ونبذ ما خالفها.

ومع إحسان الظَّنِّ بنيَّتِهِ، فمِنَ النَّصيحةِ لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهم بيانُ أخطائهِ ـ تجاوز الله

عنّا وعنه ـ، ونشرها بالقَدر الَّذي نُشِرَت به أفكاره الخاطئة، ورُوِّج لها، وتأثَّر بها النَّاس.

ورحم الله سيِّد قطب، لقد أَقَرَّ هو نفسه هذا الوزن الحقَّ إذ قال: (إنَّ منهج الله ثابت، وقِيَمَهُ وموازينَهُ ثابتة، والبشر يبعدون أو يقربون مِن هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون.. وحين يُخطئ البشر في قواعد التصوُّر وقواعد السلوك؛ فإنَّه يَصِفُهُم بالخطأ، وحين ينحرفون؛ فإنَّه يصفهم بالانحراف، ولا يتغاضى عن الخطأ مهما تكن منازلهم وأقدارهم...

ونتعلّم من هذا أنّ تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج، وأنَّه مِنَ الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون بالوصف الَّذي يستحقونه ـ أيًا كانوا ـ، وألاَّ تُبَرَّرَ أخطاؤُهم وانحرافاتُهم أبدًا، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ والانحراف).

(في ظلال القرآن، دار الشروق ص٥٣٣)

٤) تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه: (العدالة الاجتماعية)، في الطبعة السادسة ـ بعد ستة عشر عامًا من تأليفه ـ، لا يمنع من نقده؛ لأنَّ عشرات الألوف مِن نُسَخِ الطَّبعات القديمة لا يزال موجودًا في المكتبات الخاصة والعامة، ولم يقبل من طه حسين تعديل بعض الألفاظ الخاطئة في كتابه عن الشعر الجاهلي في الطبعة الثانية (لا السَّادسة).

ومع ذلك فقد وُزِنَ فِكرُ سيِّد في هذا البحث وفق ما استقرَّ عليه، واستمرَّ طبعه في دار الشروق بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ بعشرات السنين، فيما وصفه أخوه محمد قطب: الطَّبعات الشرعية، فشاركه في مخالفة الشرع أو زاد عليه، تجاوز الله عنهما.

أهمُّ المنكرات في فِكرِ سيِّد قطب

أوَّلًا
ذمُّ موسى عليه السلام:

أ) أنكر بعض العلماء على سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ كلمات في وصف نَبِيِّ الله موسى عليه السلام؛ مثل قوله في (التصوير الفني في القرآن) طبع دار الشروق عام ٢٠٠٠:

١ ـ (لنأخذ موسى؛ إنَّه نموذجٌ للزَّعيمِ المندفع العصبِيِّ المزاج).

(التصوير الفني في القرآن، ط. دار الشروق عام ٢٠٠٠ ص٢٠٠)

٢ ـ (وهنا يبدو التعصُّب القومي كما يبدو الانفعال العصبي) على قول الله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: ١٥].

(المصدر نفسه ص٢٠٠)

٣ ـ (وتلك سِمةُ العصبيين)، على قول الله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ١٨].

(المصدر السابق، ص٢٠١)

٤ ـ (ويُنْسيه التَّعصب والاندفاع استغفاره وندمه)، على قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا﴾ [القَصَص: ١٩]. (المصدر السابق، ص٢٠١)

٥ ـ (فلندَعه هنا لنلتقي به في فترة مِن حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع، حليم النَّفسِ، كلاّ.. إنَّه الفتى العصبيُّ نفسه.. فغيره كان يخاف، نعم، ولكن لعلَّه كان يبتعد منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى)، على قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ [القَصَص: ٣١]. (المصدر السابق، ص٢٠١)

٦ ـ (ثم لندعه فترة أخرى؛ لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه، ولكن ها هو ذا يَسأَلُ رَبَّه سؤالاً عجيبًا): ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

(المصدر السابق، ص٢٠١ ـ ٢٠٢)

٧ ـ (عودة العصبيِّ في سرعة واندفاع)، على قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ

فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. (المصدر السابق، ص٢٠٢)

٨ ـ (هكذا في حنق ظاهر، وحركة متوترة)، على قول الله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧]. [حكم الانتماء ص٢٠٢]

٩ ـ (تقابل شخصيَّةَ موسى شخصيَّةُ إبراهيم؛ إنَّه نموذج الهدوء والتَّسامح والحكمة)، على قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥]. (المصدر السابق، ص٢٠٣)

ب) ويليق بالمسلم ألاَّ يُقِرَّ سَيِّدًا على وصفه موسى عليه السلام ببعض أوصاف الذَّمِّ مثل العصبيَّة، والتوتُّر، والحنق، والاندِفاع، وفي الوقت نفسه يحسن الظنَّ به عن قصد الإساءة إلى نبي الله وكليمه، وأحد أولي العزم من رسله، ولكن كما قال عن سيِّد أحد نقّاده: (دفعته قوة العاطفة، وسلاسة الأسلوب، إلى كلام [لا يدرك أبعاده]).

ج) أمَّا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فلا يليق به إلاَّ ما وصفه الله تعالى به، ووصفه به رسوله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [طه: ١٣]، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟

كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩]، **وقال النبي ﷺ: «يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»** [رواه البخاري].

❁ ❁ ❁

ثانيًا: ذم عثمان رضي الله عنه وانتقاص عهده:

أ) أنكر بعض العلماء والكتَّاب على سيِّد ـ عفا الله عنّا وعنه ـ الطَّعن والقدح في الخليفة الراشد المهدي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانتقاص عهده بمثل ما يلي:

١ ـ إسقاط سيِّد خلافة عثمان رضي الله عنه بقوله ـ بعد محاولة التعديل في الطبعة السادسة ـ: (ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي رضي الله عنه امتدادًا طبيعيًا لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان ـ الذي تحكَّم فيه مروان ـ كان فجوة بينهما).

(العدالة الاجتماعية، ص١٧٢، دار الشروق ١٤١٥هـ)

٢ ـ ادِّعاء سيِّد انحراف عهد عثمان رضي الله عنه عمَّا أسماه: (النظرة الإسلاميَّة والتصور الإسلامي في سياسة المال والحكم) في حياة النبي ﷺ وفي عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم

بقوله: (فأما في حياة النبي ﷺ وصاحبيه وخلافة علي بن أبي طالب؛ فكانت النَّظرة السَّائدة هي النَّظرة الإسلاميَّة... وأمَّا حين انحرف هذا التَّصوُّر قليلاً في عهد عثمان، فقد بقيت للناس حقوقهم، وفَهِمَ الخليفةُ أنَّه في حِلٍّ ـ وقد اتَّسع المال عن المقررات للناس ـ أن يطلق فيه يده يبرُّ أهله، ومن يرى من غيرهم حسب تقديره). [قلت: هو في حلٍّ، وهي السُّنَّة الثابتة].

(العدالة الاجتماعية ص١٦٨ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٣ ـ تأكيد سيِّد انحراف عهد عثمان عن منهاج صاحبيه رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم بقوله: (هذا التَّصوُّر للحكم [في عهد أبي بكر وعمر] قد تغيَّر شيئًا ما دون شَكٍّ على عهد عثمان، وإن بقي في سياج الإسلام).

(العدالة الاجتماعية ص١٥٩ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٤ ـ تأكيد سيِّد انحراف عهد عثمان رضي الله عنه عن منهاج النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الحكم بقوله: (وسار علي رضي الله عنه في طريقه يَرُدُّ للحكم صورته كما صاغها النَّبيُّ ﷺ والخليفتان من بعده).

(العدالة الاجتماعية ص١٦٢ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

ولم يتنبّه سيِّد ـ عفا الله عنه ـ إلى أن شرع الله هو من وحيه تعالى، وليس من صياغة النبي ﷺ فمن دونه.

٥ ـ تأكيد سيِّد انحراف الحكم، بل ونفوس الحكام والمحكومين في عهد عثمان رضي الله عنه عمَّا أسماه التَّصوُّر الإسلامي بقوله: (جاء عليٌّ ليردَّ التَّصوُّر الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكَّام والناس).

(العدالة الاجتماعية ص ١٦٢ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٦ ـ اتِّهام سيِّد عثمان رضي الله عنه بالانحراف عمَّا أسماه روح الإسلام بقوله: (وإنه لمن الصَّعب أن نتَّهم روح الإسلام في نفس عثمان، ولكن من الصعب كذلك أن نعفيه مِنَ الخطأ).

(العدالة الاجتماعية ص ١٦٠ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٧ ـ اتِّهام سيِّد عهد عثمان رضي الله عنه بكثير من الانحراف عن الإسلام بقوله: (لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن ورائه مروان بن الحكم يُصَرِّفُ الأمر بكثير مِنَ الانحراف عن الإسلام).

(العدالة الاجتماعية ص١٥٩ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٨ ـ اعتذاره لعثمان رضي الله عنه عن الانحراف عن الإسلام، وروح الإسلام، والتصوُّر الإسلامي، وصورة الحكم، كما صاغها النبي صلى الله عليه وسلم وخليفتاه رضي الله عنهما، بقوله: (واعتذارنا لعثمان رضي الله عنه أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة... وهو يدلف إلى الثمانين يلعب به مروان، فصار سيقةً له يسوقه حيث يشاء، بعد كِبَر السِّنِّ وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم).

[قلت: أخذ فِرْية لعب مروان بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسياقته له من رواية مكذوبة على عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

(العدالة الاجتماعية ص ١٦١ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٩ ـ تمجيد سيِّد قطب الثّوّار الخوارج على عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (تثور نفوس الذين أُشرِبَت نفوسهم روح الدِّين إنكارًا وتأثُّمًا).

(العدالة الاجتماعية ص ١٦١ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

١٠ ـ تمجيد سيِّد الثورة الخارجيَّة على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (لا بُدَّ لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر روح الإسلام، أن يقرِّر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام، وذلك دون إغفال لِمَا كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله).

(العدالة الاجتماعية ص ١٦١ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

١١ ـ ضمّ سيِّد أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بغير حقٍّ ـ إلى الثوار على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونقل روايات عن نفيه إلى الربذة وخُطَبه، أحرَى بها أن تكون مِن جراب الأخباريين المنحرفين؛ مثل: (لقد حدثت أعمال لا أعرفها، والله ما هي في كتاب الله، ولا سنَّة نبيِّه، والله إني لأرى حقًّا يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقًا مُكذَّبًا، وأثرة بغير تُقى).

(العدالة الاجتماعية ص ١٧٤ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

قال سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (ولقد كانت هذه الصيحة يقظةَ ضمير، لم تخدِّره الأطماع أمام تضخم فاحش في الثروات، يُفرِّق الجماعة الإسلاميَّة طبقات، ويُحطِّم الأسس التي جاء هذا الدِّين ليقيمها بين الناس).

(العدالة الاجتماعية ص ١٧٥ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

ب) ذكر الشيخ د.بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في إنكاره الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم في كتابه (تصنيف الناس بين الظن واليقين) (ص٢٦): (أطبق أهل الملَّة الإسلاميَّة على أنّ الطَّعن في واحد من الصَّحابة رضي الله عنهم زندقةٌ مكشوفةٌ).

ودعوى النسخ أو الرجوع دون بيِّنة لا تصلح حجَّة لترك التَّنبيه على أخطاء بقيت عشرات السنين يكرَّر طبعها، ويقتنيها الأفراد والمكتبات، وتُعَدُّ مرجعًا هامًّا للمثقفين والمفكرين، ولأكثر شباب الأمَّة، وعُدِّل قليل من ألفاظها النابية وبقي معناها.

ج) وعثمان بن عفان رضي الله عنه باتِّفاق أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة: أفضل هذه الأمَّة بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أُمِرنا باتِّباع سنّتهم، والمحافظة عليها في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنَّه من يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنواجذ» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم]، وفي الحديث الصحيح: «الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة» [«الصحيحة» (٤٦٠/ ١٥٣٤/ ١٥٣٥)].

وروى مسلم في (صحيحه): أنَّ النبي ﷺ قال عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟».

وروى الإمام أحمد في (مسنده): أنَّ النبي ﷺ قال لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا عثمانُ إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عسى أن يُلبِسَك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تفعل حتى تلقاني».

وروى البخاري في (صحيحه) أنَّ النبي ﷺ صعد أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال ﷺ: «اسكُن أُحُد، فليس عليك إلاَّ نبيٌّ، وصدِّيق، وشهيدان».

❁ ❁ ❁

ثالثًا: لَمز عَدَدٍ مِن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أ) أنكر بعض العلماء على سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ لمز عددٍ مِنَ الصَّحابة أكثرهم من المبشَّرِينَ بالجنَّة في مثل ما يلي:

١ ـ رأى سيِّد أنَّ الانحراف في تصوُّر معنى الحكم وسياسة المال بدأ صغيرًا في عهد عمر، واستفحل في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: (هذا هو الثراء الذي بدأ صغيرًا بإيثار بعض المسلمين على بعض في أيام عمر، وكان معتزمًا إبطاله [رواية بلا سند]... ثُمَّ فشا فُشُوًّا ذريعًا بتجميع الأملاك والضياع

وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان مِن شراء الأرضين في الأقاليم) [قلت: ومن حرَّمه وقد أباحه الله ورسوله؟].

(العدالة الاجتماعية ص١٧٥ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٢ ـ في مقابل وصفه عامَّة الثوار على عثمان رضي الله عنه بقوله: (تثور نفوس الذين أُشرِبَت نفوسهم روح الدِّين إنكارًا وتأثُّمًا)، وصف عامة الذين برّهم عثمان بقوله: (وتنحلّ نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار، وهذا كلّه قد كان في أواخر عهد عثمان).

(العدالة الاجتماعية ص١٦١ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٣ ـ وضرب مثلاً (للتضخُّم الفاحش في الثَّروات) الذي ظنَّه (يحطِّم الأسس التي جاء هذا الدِّين ليقيمها بين الناس)، ومثلاً للذين (جرفتهم مطامع الدنيا)، في مقابل مَثَل أبي ذر رضي الله عنه الذي (كان ضميره يقظًا، فلم تخدِّره الأطماع)، ومَثَل الثوار على عثمان رضي الله عنه (الذين أُشْرِبَتْ نفوسهم روح الدِّين إنكارًا وتأثُّمًا) بقوله مستندًا إلى رواية مجروحة عن أخباريٍّ منحرف: (وبحسبنا أن نَعْرِضَ هنا نموذجًا للثروات الضخام أورده المسعودي، قال: في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال، فكان لعثمان يوم قُتِل خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم.

وبلغ الثُّمُن من متروك الزُّبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخَلَّفَ ألف فرس وألف أَمَة.

وكانت غلّة طلحة من العراق ألف دينار كلَّ يوم.

وكان على مربط عبد الرحمن ابن عوف أَلف فرس، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم.

وخلَّف زيد بن ثابت مِنَ الذَّهب والفضة ما يُكسَرُ بالفؤوس.

وبنى سعد بن أبي وقاص دارةً بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها.

وبنى المقداد دارةً بالمدينة، وجعلها مجصَّصة الظاهر والباطن.

وخلَّف يعلى بن مُنبِّه خمسين ألف دينار، وما قيمته ثلاثمائة ألف درهم).

[قلت: تليق هذه المبالغات بالحقد الشيعي].

(العدالة الاجتماعية ص١٧٥ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٤ ـ ونقل رواية مكذوبة على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في وصف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدُرُ ويفجُرُ). (العدالة الاجتماعية ص١٦٤ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٥ ـ وضرب مثلاً لإبراز مظاهر التّحول والانحسار فيما أسماه الروح الإسلامي برواية غير مسندة لخطبتين نسبهما لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

(العدالة الاجتماعية ص١٦٧، ١٦٨ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

٦ ـ وخصَّ معاوية وعمرو بن العاص ﷺ بأقذع الشّتائم: (وحين يركن معاوية وزميله [عمرو] إلى الكذب والغشّ والخديعة والنّفاق والرشوة وشراء الذِّمم، لا يملك عليٌّ أن يتدلَّى إلى هذا الدَّرك الأسفل).

(كتب وشخصيات ص٢٤٢ ـ دار الشروق)

٧ ـ ونقل عنه الأستاذ محمود شاكر في سلسلة مقالاته في مجلة (المسلمون) العدد (٣) عام ١٣٧١ ما يلي:

ـ عن حكم معاوية ﷺ وأرضاه: (لم يكن ذلك من وحي الإسلام إنما كان من وحي الجاهلية).

ـ وعن بني أمية عامة: (فأميّة بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبهم، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات).

وقال: (لم تعمر روح الإسلام نفوسها، فآمنت على حرف حين غلب الإسلام).

ـ وعيَّر معاوية ﷺ بأبيه الصحابي أبي سفيان وبأمِّه الصحابية هند بنت عتبة ﷺ وأرضاهما، وبأنه وريثهم (وأشبه شيء بهم في بُعْد روحه عن حقيقة الإسلام، فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية أو بني أمية فهو منه ومنهم بريء).

ويقول: (ما لمعاوية وهذا الإسلام، وهو ابن هند وابن أبي سفيان).

ويقول: (فكانت جريمة معاوية الأولى: هي نفي العنصر الأخلاقي من سياسته نفيًا باتًّا).

ـ وقال عن إسلام أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: (إسلام الشفة واللسان لا إسلام القلب والوجدان، وما نفذ الإسلام إلى قلب هذا الرجل).

ـ وذكّر الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ قرّاء مقالاته بما رواه الإمام أحمد في (مسنده) عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقِهِ العذاب».

وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة، أنّ النبي ﷺ دعا لمعاوية: «اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهدِ به».

وفي (مجمع الزوائد) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه: (ما رأيتُ أحدًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا) يعني معاوية.

وأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ولَّى معاوية على دمشق حتى مات عمر، فولاه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام كلَّها حتى قُتِل عثمان، فولي معاوية دم عثمان لقرابته، [بل أَمِنَه النبي ﷺ على كتابة الوحي].

وأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عن معاوية: (ما كان معاوية على عهد رسول الله ﷺ متَّهمًا)، فيما روي عنه أنه قصّر شعره بمشقص، وقال عنه: (إنه فقيه).

أمّا أبو سفيان ﷺ فأسلم ليلة الفتح، وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ، وفقئت عينه في القتال، وولاّه رسول الله ﷺ نجران، وهو لا يولِّي على المسلمين إلا مسلمًا [بل مؤمنًا].

وأمّا هند بنت عتبة ﷺ وأرضاها فأسلمت يوم الفتح، وروى ابن سعد عن عبد الله بن الزبير ﷺ أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فقالت: (يا رسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدِّين الذي اختاره لنفسه، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله).

وفي (صحيح البخاري) أنها قالت: أنا هند بنت عتبة، فقال رسول الله ﷺ: «مرحبًا بك»، فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أن يذلُّوا من خبائك، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبّ إليَّ من أن يعزُّوا من خبائك، فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة».

وأما عمرو بن العاص ﷺ فقد أسلم عام خيبر، قدم مهاجرًا إلى الله ورسوله، وأمَّره رسول الله ﷺ على سرية إلى (ذات السلاسل) يدعو (بليًا) إلى الإسلام، ثم ولاَّه رسول الله على (عُمان) فلم يزل واليًا عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ فأقرَّه أبو بكر عليها ثم استعمله عمر.

وروى أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أسلم الناس وآمن عمرو ابن العاص».

وروى أحمد عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ألا إني سمعتُ رسول الله يقول: «عمرو بن العاص من صالحي قريش، ونعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله».

قال الأستاذ محمود شاكر أثابه الله: (لينظر الكاتب [سيِّد قطب] أيهما أقوى برهانًا في الرواية: ما حدثنا به أئمة ديننا أم ما انضمّت عليه دفتا كتابه من عرض كتب التاريخ؟ وهل الكاتب أحسن نظرًا ومعرفة بقريش من أبي بكر وعمر [وعثمان]... أم أنه أعرف بالصحابة من رسول الله ﷺ الذي كان يأتيه الخبر من وحي الله إليه)؟

ب) نقل الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ قول أبي زُرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في «فتح المغيث» (٤/ ٩٤): (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أنَّ القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به حق، وإنما أدَّى إلينا ذلك كله الصحابة).

(تصنيف الناس بين الظن واليقين ص٢٦ ـ دار العاصمة ١٤١٤هـ)

قال الشيخ د.بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد أجرى العلماء هذا الحكم بمن قدح في أحد من حملة الشرع المطهر؛ لأنَّ القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه، ولهذا أطبق العلماء رحمهم الله تعالى على أنَّ من أسباب الإلحاد: القدح بالعلماء).

(تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ٢٦ ـ دار العاصمة ١٤١٤هـ)

وأجرى الشيخ د. بكر هذا الحكم بمن قدح في علماء السُّنّة بعد القرون المفضلة فقال: (وما زالت ثائرة أهل الأهواء توظِّف هذه المكيدة في ثلب علماء الأمة، فقد لجّوا في الحطّ على شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى؛ لأنَّه عمدة في القرون المتأخرة لإحياء منهاج السَّلف، ونشروا في العالم التَّشنيع على دعوة علماء السَّلف في قلب الجزيرة العربية للرجوع إلى الوحيين الشَّريفين، ونبزهم بشتى الألقاب للتنفير)، [وهابّيين وجاميّين].

(تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ٢٨ ـ دار العاصمة ١٤١٤هـ)

وذكر الشيخ العلاّمة د. بكر ـ رحمه الله تعالى ـ طرفًا من هذه الألقاب، منها: (مداهن)، (من علماء السلطان)، (مِن علماء الوضوء والغسل)، [ومن علماء الحيض والنفاس].

(تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ١٠ ـ دار العاصمة ١٤١٤هـ)

ج) والأستاذ سيّد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ كان الأحرى به أن يسلك مسلك الشيخ المحقق د. بكر رَحِمَهُ اللَّهُ في ذبِّه عن حَمَلة الشَّرع المطهَّر من الخلفاء الراشدين المهديين، ومن السابقين الأولين من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد بَكَّتَ لجنة الفتوى المصرية؛ لأنها خالفت أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وكأنها تزعم لنفسها بَصَرًا بالدِّين أكثر من بصره بدينه).

(العدالة الاجتماعية ص١٢٤ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

ولما كان لا يرضى لعلماء في الشَّريعة مخالفة صحابيٍّ

في تفسير الكنز (معتمدين على قول صاحبيٍّ أفضل منه) فكيف يرضى لكاتب أو مفكر (إسلامي بزعمه) أن يخالف الخليفة الثالث الذي أُمِرَ باتِّباع سنته، وأن يخالف عددًا من كبار الصَّحابة والمبشَّرين بالجنَّة، وهذا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي نال النصيب الأوفى من قدح سيّد استكتبه رسول الله ﷺ، وروى عنه بضعة عشر حديثًا في (الصحيحين) أو في أحدهما ونحوًا من مائة وخمسين حديثًا في غيرهما، وولاَّه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قيادة جيش فَتَحَ عددًا من بلاد الشام، وولاَّه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأردن، ثم دمشق، وولاَّه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وقيل: بل ولاَّه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبلَهُ) كلَّ بلاد الشَّام، ونزل له الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ولاية المسلمين، وبلغت فتوحاته المحيط الأطلسي، وعُدَّ بذلك من عظماء الفاتحين في الإسلام [لتكون كلمة الله هي العليا].

وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (روى عن النبي ﷺ عشرات الأحاديث، منها ثلاثة في (الصحيحين) وثلاثة في أحدهما، وولاَّه رسول الله ﷺ قيادة بعض الجيش، وكذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولاَّه فلسطين والأردن، ثمَّ كتب إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسار إلى مصر وافتتحها، فوَلِيَ إمرتَها زمن عمر وصدرًا من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وشهد اليرموك وأبلى بلاء حسنًا، وصالح أهل حلب وأنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عُنوَة).

(سير أعلام النبلاء للذهبي)

رابعًا:
القول بأحدية الوجود والكينونة

أ) أنكر بعض العلماء ومنهم الشيخ عبد الله الدويش والألباني وابن عثيمين والمدخلي على الأستاذ سيّد القول بوحدة الوجود في مثل ما يلي:

١ ـ قول سيّد في تفسير سورة «الحديد»: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]: مستغرقًا كل حقيقة الزمان، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]: مستغرقًا كل حقيقة المكان، وهما مطلقان، ويتلفّت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا لله.. فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يَستمدّ منه كلُّ شيء وجودَه، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يَستمد منها كلُّ شيء حقيقتَهُ، وليس وراءها حقيقةٌ ذاتيَّة، ولا وجود ذاتيٌّ لشيء في هذا الوجود).

(في ظلال القرآن، ص٣٤٧٩ ط. دار الشروق)

٢ ـ وقوله: (لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة؛ فالكينونة الواحدة الحقيقيَّةُ هي لله وحده سبحانه، وإنَّ استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة،

فأمَّا قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإنَّ هذه الآية القرآنيَّة حسبُهُ، ليعيش في تدبُّرها وتصوُّر مدلولها) [أي: يقنع بالآية حتى يَلتزم أحدية الوجود؟].

(في ظلال القرآن ص٣٤٧٩ ط.دار الشروق)

٣ ـ وقوله في تفسير سورة «الإخلاص»: (إنَّها أَحَدِيَّة الوجود، فليس هناك حقيقة إلاَّ حقيقته، وليس هناك وجود إلاَّ وجوده).

(في ظلال القرآن ص٤٠٠٢ ط.دار الشروق)

٤ ـ وقوله: (ومتى استقرَّ هذا التَّصوُّر الَّذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستَصحَبُه رؤية هذه الحقيقة في كُلِّ وجود آخر انبثقَ عنها، وهذه درجةٌ يرى القلبُ فيها يد الله في كلِّ شيء، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئًا في الكون إلا الله؛ لأنَّه لا حقيقة هناك تراها إلا حقيقة الله).

(في ظلال القرآن ص٤٠٠٣ ط.دار الشروق)

٥ ـ وقوله: (مِن هُنا [الحقيقة الواحدة أو أَحَديَّة الوجود] ينبثق منهج كامل للحياة... منهج لعبادة الله وحده الذي لا حقيقة لوجودٍ إلاَّ وجوده... ومنهج للتلقِّي عن الله وحده؛ فالتَّلقِّي لا يكون إلاَّ عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع والضمير... ومنهج يربط ـ مع هذا ـ بين القلب البشري وبين كلِّ موجود برباطِ الحبِّ والأنس والتعاطف والتجاذب...

فكلُّها خارجة من يد الله، وكلُّها تستمدُّ وجودها من وجوده، وكلُّها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة، فكلُّها إذن حبيب؛ إذ هي هدية من الحبيب).

(في ظلال القرآن ص٤٠٠٣ ط.دار الشروق)

ب) يبرِّئُ بعض الباحثين الأستاذ سيِّد من الاعتقاد بوحدة الوجود، بدليل قوله في تفسير سورة «البقرة»: (ومن هنا تنتفي مِنَ التَّفكير الإسلامي الصَّحيح فكرةُ وحدة الوجود).

وقد ردَّ الأستاذ محمد قطب على مُتَّهمي شقيقه سيِّد بفكرة وحدة الوجود، بمثل هذا الرَّدِّ مُستدلاً بقول سيِّد في كتابه (مقوّمات التَّصوُّر الإسلامي): (إنّ التَّصوُّر الإسلامي يفصل فَصلاً تامًّا بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية، وخصائص الألوهية وخصائص العبوديَّة، فهما لا تتماثلان ولا تتداخلان).

(المقوّمات، ص٨٦، ط.دار الشروق)

وبتقريره (شمول العبودية لكلِّ شيء وكلِّ حيٍّ، وتجريدها من خصائص الألوهية جميعًا).

(المقوّمات، ص١١٦، ط.دار الشروق)

ج) ومع أنِّي أبرأُ إلى الله مع المؤيِّدين والمخالفين من تكفير سيِّد بمجرد أقوال متناقضة عن وحدة أو أحديَّة الوجود وغيرها؛ فإنَّ (مِن الأوبة إلى العدل والإنصاف) التنبيه إلى ما يلي:

١ ـ لم يتوقف الأستاذ سيِّد ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ في الكلام عن أحدية الوجود والكينونة عند توسيع العبارة والتمدُّد بالأسلوب والجنوح بقول (متشابه) [كما قال الشيخ بكر أبو زيد]، أو (موهم) [كما أشار الأستاذ محمد قطب]؛ فقد صرَّح في تفسير سورة «الحديد» بقوله: (ولقد أخذ المتصوِّفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى [أَحَديَّة الوجود والكينونة]، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتَّى، بعضهم قال: إنَّه رأى الله في كلِّ شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنَّه رأى الله من وراء كلِّ شيء في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الأقوال القاصرة في هذا المجال، إلاَّ أنَّ ما يؤخذ عليهم من وجه الإجمال هو أنَّهم أهملوا الحياة بهذا التَّصوُّر، والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها).

(في ظلال القرآن ص٣٤٨٠، ط.دار الشروق)

فلم يكفِه تزيين اعتقادهم وقولهم كلمة الكفر؛ بل أخذ عليهم عدم العمل بها ولها.

وقال في تفسير سورة «الإخلاص»: (وهذه مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة، فجذبتهم إلى بعيد، ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة [أحدِيَّة الوجود]،

وهم يكابدون الحياة الواقعية بكلِّ خصائصها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا الله، وأن لا وجود إلا وجودُهُ).

(في ظلال القرآن ص٤٠٠٢ ط.دار الشروق)

إذًا؛ (فأَحَدِيَّة الوجود والكينونة) عند سيِّد، هي: أحديَّة أو وحدة الوجود عند المتصوفة التي (يريد الإسلام من القلب البشري أن يدركها، ومن الجوارح أن تعيش بها ولها)، ولا يُخالف الأستاذ سيِّد المتصوفة إلا في (إهمالهم الحياة بهذا التَّصوُّر).

٢ ـ محيي الدِّين ابن عربي (أو موهي الدِّين في لفظ الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، أو الشيخ الأكبر كما يصفه أقرب المفكرين ـ الإسلاميين بزعمهم ـ إلى منهاج أهل السُّنة فضلاً عن أبعدهم) صرَّح بأنَّه لا يجيز القول بوحدة الوجود في أول (الفتوحات المكيَّة)، مع أنَّ أكثر علماء أهل السنَّةِ وطلَّاب علم الشَّريعة لا يذكرون وحدة الوجود إلا مقرونة باسمه، وحَكَمَ العلماء على ما يظهر من أقواله عن أحديّة الوجود بالكفر؛ من ابن تيمية السَّلفي في القرن السابع والثامن إلى البقاعي الصُّوفي في القرن التاسع الهجري، وتكفير القول لا يلزم منه بالضرورة تكفير القائل إلاَّ إذا تحقَّقت شروطُه الشَّرعية، والله يعلم ما مات عليه سيِّد، وابن عربي، وغيرهما. ومثل ابن عربي وسيد قطب تبرأ ابن الفارض من الحلول وارتكس في أحدية الوجود.

٣ ـ إذا كان هذا الكلام المتشابه أو الموهم من كلام سيِّد قطب ـ عفا الله عنّا وعنه ـ فَهِمَ بعض كبار العلماء مثل الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني، وقبلهم الشيخ عبد الله الدويش، والشيخ ربيع المدخلي، فَهمُوا منه جميعًا القول بوحدة الوجود، فكيف بعامَّةِ النَّاس ـ ومنهم الشباب ـ الَّذين يجرُّهم الحماس وتدفعهم العاطفة إلى الأخذ بأقوال سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ دون تمحيص، والانخداع بزخرف قوله.

واجب الدُّعاةِ إلى الله على بصيرة، الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر: بيان مثل هذه الأخطاء مِنَ القول (مهما تكن منازل قائليها) ـ كما سبق النَّقل عن سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ ـ والتحذير من الوقوعِ في حبائل الشيطان باستغلال سقطات العلماء فَضلاً عن المفكِّرين (الإسلاميِّين بزعمهم).

٤ ـ ولا عجب من اختلاف المفكرين في جمعهم بين نفي عقيدة وحدة الوجود في موضع، وإثباتها في مواضع، كما يظهر في كتب ابن عربي العالم الصوفي، وسيد قطب الكاتب الحركي، فالاختلاف والتَّناقض سِمَةٌ لازمةٌ للفكر البشري، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٢].

وما أُتِيَ المفكِّرون قديمًا وحديثًا إلاَّ من جهة اشتغالهم بالفكر الظني المضطرب عن وحي الله اليقيني الثَّابت، وبسلاسة الأسلوب عن فقه الأئمة الأُوَل في الدِّين.

٥ ـ وعندما هبَّ شيعة سيِّد قطب ـ تجاوز الله عنه وعنهم ـ يدافعون عن أخطائه، ومنها: الإلحاح على فرية أحدية الوجود؛ ادَّعوا النسخ كأنه وحي منزَّل، وقالوا: إنّ سيِّد رجع عن قوله بوحدة الوجود في الطبعة الثانية من (الظلال) في تفسير سورة «البقرة»، وإنما لجأوا إلى هذه الحجة الواهية لأن أقواله بأحدية الوجود في تفسيره (أو تظليله) سورتي «الحديد» و«الإخلاص» كانت مُوبقة إلى درجة لا يمكن الدِّفاع عنها.

وردَّ الشيخ د. ربيع المدخلي بأن الأستاذ/ صلاح الخالدي أبرز المدافعين عن سيِّد وكَّد في كتابه (مدخل إلى ظلال القرآن ص٤٨ ـ ٥٠) أن سيِّد قطب فسَّر الأجزاء الأخيرة من القرآن على أساس منهجه الحركي الجديد، وفيها تبنّى خرافة وحدة الوجود ووصفها بأنها التي هام بها الصُّوفيّة ودعا إلى الأخذ بها، ثم إن (في ظلال القرآن) طُبِعَ في حياته وبعد موته بعشرات السِّنين عشرات المرات بإشراف أخيه محمد قطب دون تغيير وبكلِّ إصرار.

فالحقُّ والعدل والصواب في أن يقال: إن سيِّد قطب نفى وحدة الوجود (أوَّلاً) في تفسيره سورة «البقرة»، ثم أثبتها في سورتي «الحديد» و«الإخلاص»[(١)].

---

(١) انظر: «أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره» ص١٢٧ وما قبلها وما بعدها، ط.دار الإمام أحمد للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٤٣١، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى العلاَّمة د. ربيع المدخلي.

٦ ـ وأثناء تهذيبي ردّ البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ على ابن عربي وابن الفارض من تحقيق د. عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السُّنة في مصر رَحِمَهُ اللَّهُ ورحمهم بعنوان (مصرع التّصوف)، لاحظت أن ابن عربي قبل سيِّد قطب ومثله: نفى لفظ (وحدة الوجود) وأثبت قبل سيِّد ومثله: لفظ (أحدِيَّة الوجود)، ولم أجد إثباتًا للفظ (وحدة الوجود) في (الفتوحات المكية) و(فصوص الحِكَم) لابن عربي، ولا في بقيّة (الظلال) لسيِّد قطب، بل ولا في تائية ابن الفارض (شرّ الثلاثة)، بل إنَّ ابن الفارض تبرَّأ من لفظ (الحلول) كما تبرَّأ ابن عربي وسيِّد قطب من لفظ (الوحدة)؛ فقال:

وَلِي مِن أتمِّ الرّؤيتين إشارة
تُنَزِّه عن دعوى الحلول عقيدتي

ولكن الثلاثة ألزِموا بدعوى (وحدة الوجود)، والحقيقة أن مصطلحات: الوحدة والاتحاد والحلول والأحديّة كلّها كُفْر لنَفْيها الوَحْدانيَّة، وإنْ كُنّا لا نعرف على وجه اليقين ما مات عليه أصحابها.

ولعل وِحْدة الحُكْم عليها بالكفر أجازت لمنكريها من علماء السُّنّة والتَّصوُّف اختيار مصطلح (وحدة الوجود) دون غيره غالبًا.

٧ ـ وقد اختار سيِّد قطب مصطلح (الأحدية) في مثل

قوله: (إنَّها أحديّة الوجود، فليس هناك حقيقة إلاّ حقيقته، وليس هناك وجود إلاّ وجوده) يعني: حقيقة الله ووجود الله (في ظلال القرآن، ص٤٠٠٢ ط. دار الشروق بعد عشرات السّنين من تاريخ وفاته، تجاوز الله عنه)، بل استدلّ عليها بمثل ما استدلَّ به ابن عربي وابن الفارض: قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وبيَّن سيِّد قطب وحده ـ فيما أعلم ـ سبب اختياره مصطلح الأحديَّة فقال في المرجع نفسه والصَّحيفة نفسها (٤٠٠٢/٦): (وهو لفظ أدقُّ من لفظ: واحد، لأنه يضيف إلى معنى: واحد؛ أن لا شيء غيره معه).

وهذا هو ما دعا ابن الفارض إلى تنزيه عقيدته من دعوى الحلول، وما دعا المنكرين على هذه المصطلحات وأهلها: التَّفريق بين اثنين أو أكثر حَلَّ أحدهما في الآخر أو اتَّحد معه، وبين ما كان أصله واحدًا. ولربما جمع جَهْلي (بالتَّصوُّف) وجَهْل سيِّد (بشرع الله والفقه في دينه) بيني وبين سيِّد قطب، فغلب على ظنِّي مثله: أنّ لفظ الأحديَّة أدقّ من لفظ الوحدة فما دونه من لفظ الحلول والاتحاد، وليت الله طهَّره كما طهَّرني بفضله من الوقوع في حبائل الفلسفة (أو السّفسطة) الصوفيّة الكافرة بجميع ألفاظها ومصطلحاتها، ولكنّه ـ عافانا الله ممّا ابتلاه به ـ بلغ به الجهل والتخبُّط والتَّناقض إلى الدعوة إلى اتخاذ (ما وافق ابنَ عربي على تسميته) الأحديّة (منهجًا يربط

بين القلب البشري وبين كلّ موجود برباط الحبِّ والأنس والتَّعاطف والتجاوب... فكلها خارجة من يد الله... فكلها إذَنْ حبيب (٦/ ٤٠٠٣)، [ولو كان خنزيرًا، أو ما دونه: وثنيًا ينتمي إلى البوذيّة أو اليهودية أو النّصرانيّة أو الإسلام؟] إذَنْ، فلا عجب من اختياره أحديّة الوجود عافانا الله مما ابتلاه به.

٨ ـ واختار ابن عربي لفظ (الأحديّة) على (الوحدة) في مثل قوله: (وجود الحقِّ [أي الله] كانت الكثرة له وتعداد الأسماء بما ظهر عنه في العالم الذي يطلب بنشأته حقائق الأسماء الإلهية، فثبت به وبخالقه أَحَدِيَّة الكثرة وقد كان أَحَدِيَّ العين من حيث ذاته... فكان مَجْلى صُوَرِ العالم مع الأَحَدِيَّة المعقولة). (فصوص الحكم ص٢٠٠)

ويزيد هذا النَّصَّ الكفري وضوحًا قول ابن عربي: (وأعظم مَجْلى عُبِدَ فيه [الله] وأعلاه: الهوى كما قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]... والعارف المكمّل من رأى كلّ معبود مجلى للحقّ [لله] يُعْبَد فيه، ولذلك سمَّوه كلهم: إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو ملك أو كوكب). (فصوص الحكم ص١٩٤ ـ ١٩٥)

يقول هذا، ومثله يملأ كتابه (فصوص الحكم) بخاصة وغيره بعامّة، بينما هو ينفي مصطلح (وحدة الوجود) كما نفاه سيِّد، ويثبت مصطلح الأحديَّة كما أثبته.

٩ ـ واختار ابن الفارض مصطلح (الاتحاد) وإنْ أصرَّ الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ على أنه يعني (الوحدة لا الاتحاد):

وجُلْ في فنون الاتِّحاد ولا تحِدْ
إلى فئة في غيره العُمْر أفْنَت
وجاء حديث في اتحادي ثابت
روايته في النّقل غير ضعيفة

يعني بالحديث: «من عادى لي وليًّا»، وفيه: «فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به» إلخ. ولو كان هذا الحديث ـ لو صحَّ ـ يعني الاتحاد لما كان للمتنفل ومحبة الله له مزيّة؛ لأنهم يعتقدون حلول الله أو اتحاده أو وحدته أو أحديته مع كلِّ مخلوق كما قال ابن الفارض:

وإن عَبَدَ النَّار المجوسُ وما انطَفَتْ
كما جاء في الأخبارِ من ألف حجَّة
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم
سِوَايَ وإن لم يعقدوا عقد نيّتي

وابن عربي أيضًا اتكأ على هذا الحديث، وهو يَقُول ـ إضافة إلى ما سبق ـ: (قال [موسى] له [للسامريّ]: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧] فسمَّاه [العجل] إلهًا ـ بطريق التَّنبيه للتَّعليم ـ لما علم أنه بعض المجالي الإلهيَّة). [«فصوص الحكم» ص١٩٢]

وسيّد قطب يردِّد معهم: (وهذه درجة يرى القلب فيها يد الله في كلِّ شيء، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئًا في الكون إلاّ الله).

(في ظلال القرآن ص٤٠٠٣، دار الشروق، الطبعة الشرعية بزعمهم)

١٠ ـ ويتذكر الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ مما تعلَّمه في صغره من صلوات ابن بشيش: (زُجَّ بي في بحار الأحديّة وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أُحِسُّ إلاّ بها). [«مصرع التصوف للبقاعي» تحقيق الوكيل ١٣٧٢ ص٢٤٣] وتهذيبه لكاتب هذه الأسطر ص (٩٢) دار اللؤلؤة ـ لبنان ط١، عام١٤٣٣.

وفي هذا النّصِّ الأخير جَمْع بين الأحديّة والوحدة بمعنى واحد لا يختلف، وكلاهما استُعْمِل لنشر الباطل من موبقات الشبهات، ولولا أني لا أختار الحكم على القلوب بما ظهر على الجوارح ودلَّت عليه القرائن؛ لقُلْتُ أنَّ ابن عربي بمثل قوله: (فهو [الله] عين ما ظهر وعين ما بطن... وهو المسمَّى أبا سعيد الخرّاز وغير ذلك من أسماء المحدثات).

(فصوص الحكم ص٧٧)

ولقُلْتُ: أن ابن الفارض بمثل قوله:

وقد جاءني مني رسول عليه ما
عَنِتُّ عزيزٌ بي حريص لرأفتي

إلـيَّ رسـولًا كُـنْـتُ مـنِّـي مُـرْسـلًا
وذاتـي بـآيـاتـي عـلـيَّ اسـتـدلَّـت
وفي الصَّحْوِ بعد المَحْوِ لم أَكُ غيرها
وذاتـي بـذاتـي إذ تَـجَـلَّـتْ تـجـلَّـتِ

وإلحاحهما على هذا الضلال في عشرات بل مئات النّصوص؛ إنّما يريدان زعزعة الإيمان بالله في قلوب عباده وإضلالهم عن صراطه المستقيم.

أما سيِّد قطب فلعله كان يَهْرف بما لا يَعْرِف ولا يقصد.

وهو أقرب ـ في رأيي ـ إلى ابن الفارض، فكلاهما شاعر، والشعراء يتّبعهم الغاوون، ولعلَّهم يتبعون الغاوين أيضًا دون تثبّت.

أما ابن عربي فهو أعلمهم، وقد يكون ممّن أضلّه الله على علم. وأعرف مِنْ طلّاب العلم بل من علماء السَّلف، من خُدِع بما في (الفتوحات) من حقّ، وخيرهم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذكَر في رسالته للمنبجي: (كُنْتُ قديمًا ممّن يحسن الظنّ بابن عربي ويعظِّمه لما رأيت في (الفتوحات) من فوائد، ولم نكن اطّلعنا على الفصوص ونحوه). انظر إن شئت: (مجموعة الرسائل والمسائل ط. محمد رشيد رضا ص١ ـ ١٧١) لتعرف نصَّ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد أُمْلِيَ عليَّ من مكان بعيد.

ورأيت ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ اقتبس لميميَّته شطر بيتٍ من تائيّة ابن الفارض، وابن القيم يحثّ على استعمال ألفاظ الكتاب والسُّنّة للجمع بين الحُكْم ودليله، إضافة إلى صحّة اللغة، ولكن ابن آدم خطَّاء، والنَّظم والسَّجع تكلُّف يُبْعِد عن الصواب.

١١ ـ أمّا الشيخ د. ربيع المدخلي فيرى أنّ لسيّد قطب علاقةً بالتَّصوُّف ووحدة الوجود منذ مرحلة (شكِّه وارتيابه وضياعه) بلفظ صلاح الخالدي في كتابه عنه: (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ص٢١٤)، يقول سيّد:

ولـيـس هـنـا غـيـرٌ ولـيـس هـنـا أنـا
هنا الوحدة الكبرى التي احتجبتْ سرّا

ويقول:

لَـكَ يـا جَـمَـال عـبـادتـي لكَ أنت وحدك يـا جـمـال
فـإذا عَـبَـدْتُـكَ لـم أكـن يا حُسْنُ من أهل الضلال
بل كنْتُ محمود العقيـ ـدةِ في الحقيقةِ والخيال

ويقول سيّد دفاعًا عن (النيرفانا) في عقيدة الوثنيّة الهندوسيّة، ويصفها بأنها (الفناء في الرُّوح الأعظم): (كنا نرجو أن يكون [حسين فوزي] أوسع أُفُقًا وأكثر عطفًا وأعمق اتِّصالاً بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع والرّوح الصوفيّة المتسامحة المشرقة بنور الإيمان.

ويقول في مدح الصوفية الهندية أمّ الصوفية المبتدعة في كلِّ مكان وزمان بعدها: (الهندي الذي يحسّ بنفسه ذرّة منسجمة مع الطبيعة فيرى في فنائه في القوة العظمى حياة وبقاء وخلودًا، وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه... فلنقِفْ خشَّعًا أمام هذا السّموِّ الإلهي ولو لحظات)[1].

د) وجناية الفكر وزخرف القول (شعرًا ونثرًا) على سيِّد قطب (وابن عربي وابن الفارض) تجاوزت حدود ضلالهم عن هدي الوحي والفقه فيه من أهله إلى أن أضلَّت بهم عددًا من المسلمين لا يحصيه إلاّ الله، وهم ومؤيِّدوهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

ولكن الله يوظِّف بعض عباده العلماء وبعضهم متصوفة لإثبات الحق ونفي الباطل، فقد جمع الشيخ برهان الدِّين البقاعي (ت٨٨٥) رَحِمَهُ اللَّهُ أقوال وفتاوى كثير من العلماء بين عصره وعصر ابن عربي وابن الفارض في كتاب (تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي) و(تحذير العباد من أهل بدعة الاتحاد) ويقال: إن السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ ردّ الحق بمؤلفه: (تنبيه الغبيّ إلى ولاية ابن

(١) وللراغب في معرفة التَّفاصيل الرجوع إلى «مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي» ط.دار الإمام أحمد ١٤٣١، المجلد٦ ص١١٦ ـ ١٣٣، والمجلد ٧ ص١٦٧ ـ ١٧٣) وديوان سيّد قطب، تجاوز الله عن كلِّ مسلم موحِّد يُفْرِد الله بالعبادة وينفيها عن غيره.

عربي)، وحقق الشيخ د. عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَي البقاعي ونشرهما بعنوان (مصرع التّصوف) تجنُّبًا للتعريض بالقارئ، وهذّبتُ تحقيقه بعنوان (فلسفة ابن عربي وابن الفارض في حُكْم علماء القرون الوسطى وأكثرهم متصوفة) لأن من الظلم أخذ جميع المتصوفة بجريرة اثنين منهم.

❁ ❁ ❁

خامسًا:
إباحة التشريع الجديد للمصلحة والعُرف

أ) أنكر بعض العلماء على سيِّد إباحته للدولة سَنَّ تشريعات جديدة للعرف العالمي أو للمصلحة في مثل ما يلي:

١ ـ قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]: (وذلك حين كان الرِّقُّ نظامًا عالميًّا تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، ولم يكن للإسلام بُدٌّ من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق).

(في ظلال القرآن ص١٦٦٩ ط. دار الشروق)

وقال مثل هذا في الصفحات (١/ ٢٣٠ و٤/ ٢٤٥٥ و٦/ ٣٢٨٥) من كتابه (في ظلال القرآن) ط.دار الشروق.

٢ ـ وقال: (في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثَّروات جميعًا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام، ونمت بالوسائل التي يبرِّرها).

(معركة الإسلام والرأسمالية ص٤٤ ط. دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

٣ ـ وقال: (في يد الدولة أن تفرض ضرائب خاصَّة غير الضرائب العامة كما تشاء، فتخصّص ضريبة للجيش، وضريبة للتعليم، وضريبة للمستشفيات، وضريبة للضمان الاجتماعي، وضريبة لكلّ وجه طارئ لم يحسب حسابه في المصروفات العامة، أو تعجز الميزانية العاديّة عن الإنفاق عليه عند الاقتضاء). [قلت: ستُحْرِجُ هذه النُّصوص أتباعه المحرِّمين للضرائب].

(معركة الإسلام والرأسمالية ص٤٣ ط. دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

٤ ـ وقال: (حقُّ المجتمع مطلق في المال، وحقُّ الملكيّة الفرديَّة لا يَقِفُ في وجه هذا الحقِّ العامِّ، والإسلام يعطي هذه السلطات للدَّولة ـ ممثلة المجتمع ـ لا لمواجهة الحاجات العاجلة فحسب؛ بل لدفع الأضرار المتوقعة).

(معركة الإسلام والرأسمالية ص٤٣ ط. دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

٥ ـ ولم يكفه أنَّ الدولة في زمنه (سنَّت ضريبة التَّركات، وضريبة الدَّخل العامِّ، وأخذت بمبدأ الضَّريبة التَّصاعدية) كما يقول؛ لأنَّها: (خطوات هزيلة لا يبدو لها أثرٌ؛ لأنَّ الأوضاع

القائمة قد بلغت مِنَ الفحش والسوء مبلغًا لا تعالجه هذه اللَّمسات النَّاعمة بقفّازات الحرير اللطيفة).

(معركة الإسلام والرأسماليَّة ص٣٩ ط.دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

٦ ـ وقال: (مبدأ حقِّ الملكية الفرديَّة في الإسلام لا يمنع تبعًا لهذا [المصالح المرسلة وسدِّ الذرائع] أن تأخذ الدولة نسبة من الربح، أو نسبة من رأس المال ذاته).

(العدالة الاجتماعية ص١٢٣ ط.دار الشروق ١٤١٥هـ)

٧ ـ وقال: (الإسلام يَعُدُّ العملَ هو السبب الوحيد للملكيَّةِ والكسب، ورأس المال في ذاته ليس سببًا من أسباب الكسب الصَّحيحة)، [ونسي الإرث والهبة ونحوهما].

(معركة الإسلام والرأسماليَّة ص٤٠ ط.دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

ثم يقول: (فأمَّا القاعدون الذين لا يعملون، فثراؤهم حرام، وعلى الدولة أن تنتفع بذلك الثراء لحساب المجتمع، وأن لا تدعه لذلك المتبطِّل الكسلان).

(معركة الإسلام والرأسماليَّة ص ٥٢ ـ دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

ويَستنتج من هذا التشريع الجديد، أو يَستدِلّ عليه بقوله: (العبادة ليست وظيفة حياة، وليس لها إلا وقتها المعلوم ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ١٠]).

(معركة الإسلام والرأسماليَّة ص٥٢ ـ دار الشروق ١٩٩٣ ط١٣)

وَفَاتَهُ ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ أنَّ العبادةَ هي وظيفة الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريات: ٥٦]، وأنَّ الأمرَ بالانتشار بعد الصلاة للإباحة باتفاق.

٨ ـ ويرى أنَّه: (لا بُدَّ أن يوجد المجتمع المسلم أوَّلاً بتركيبه العضوي... وساعتها قد يُحتاج إلى البنوك، وشركات التأمين، وتحديد النسل... إلخ، وقد لا يُحتاج! ذلك أنَّنا لا نملك أن نقدّر أصل حاجته ولا حجمها ولا شكلها، حتى نشرِّع لها سلفًا). (في ظلال القرآن ص٢٠١٠ ط. دار الشروق)

ب) يستبعدُ بعض من يحسن الظن بفكر الأستاذ سيِّد قطب أن يبيح التَّشريع البشري.

ج) ولكنَّ ما نقلنا آنفًا مِن ثلاثة مِن كتبه ـ ومثله كثير فيها وفي غيرها ـ لا تترك مجالاً للشَّكِّ، ولا للجَدَل حول إباحة سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ التشريع البشري للمصلحة فيما يتعلق بنزع الممتلكات التي حازها أصحابها بطريق مشروع، وفرض الضرائب حتى على التركات، واستيلاء الدولة على نسبة مِنَ الرِّبح أو رأس المال ـ عند وقوع الحاجة أو توقُّعها ـ، ولمتابعة العرف الدولي فيما يتعلق بإلغاء الرقّ، وتحريم الثروة، والنفي لا يُطاول الإثبات.

واضطراب الفكر وتقلُّبه واختلافه كما أسلفت؛ هو الجاني، وأمَّا سيِّد وغيره من المفكِّرين والكتاب (الإسلاميين

بزعمهم)، فلا نَشُكُّ في حُسن نيَّتهم ولا نشكُّ في سوء أقوالهم، ونرى (مع الأستاذ سيِّد نفسه) بيان أخطائهم.

❁ ❁ ❁

سادسًا:
جهل معنى لا إله إلا الله، والخلط بين الألوهيَّة والربوبيَّة

أ) أنكر بعض العلماء على الأستاذ سيِّد تفسير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصَّافات: ٣٥] بغير معناها الصَّحيح في الشَّرع واللُّغة، والخلط بين معنى الألوهيَّة ومعنى الربوبيَّة في التوحيد، في مثل ما يلي:

١ ـ قال سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (كانوا [العرب] يعرفون من لغتهم معنى (إله)، ومعنى (لا إله إلاَّ الله)، كانوا يعرفون: أنَّ الألوهيَّة تعني الحاكميَّة... كانوا يعلمون: أنَّ (لا إله إلاَّ الله) ثورة على السُّلطان الأرضي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية) أي: الحاكمية.

(في ظلال القرآن ص١٠٠٥ ط.دار الشروق)

٢ ـ وقال: (لا إلـه إلا الله) كـما كـان يُـدركـهَـا الـعـربـيّ العارف بمدلولات لُغته: لا حاكميَّة إلا لله).

(في ظلال القرآن ص١٠٠٦ ط. دار الشروق)

٣ ـ وقال: (أَخَصُّ خصائص الألوهيَّة هي: الربوبية، والقوامة، والسلطان، والحاكميَّة).

(في ظلال القرآن ص١٨٥٢ ط. دار الشروق)

٤ ـ وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القَصَص: ٧٠]؛ (أي: لا شريك له في الخلق والاختيار).

(في ظلال القرآن ص٢٧٠٧ ط.دار الشروق)

٥ ـ وقال: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [النَّاس: ٣]: (والإلـه هـو المستعلي المستولي المتسلِّط).

(في ظلال القرآن ص٤٠١٠ ط. دار الشروق)

٦ ـ وقال: (لا إلـه إلاّ الله؛ أَي: لا حـاكـمـيَّـة إلاَّ لله، حاكميَّة تتمثَّل في قضائه وقدره، كما تتمثَّل في شرعه وأمره).

(العدالة الاجتماعيَّة ص١٨٢ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

قال مخالفو سيِّد بأنَّه ليس لسيِّد سلفٌ في هذا التَّأويل مِنَ الصَّحابة وعلماء الأمَّة؛ فالحاكميَّة: إنما هي معنى مِن معاني الرُّبوبيَّةِ، ضيَّع به سيِّد قطب المعنى الأعظم لهذه الكلمة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصَّافات: ٣٥].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القَصَص: ٧٠]: (وربُّك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاّ له). (١٠٢/٢٠).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: هو المنفرد بالإلٰهية، فلا معبود سواه، كما لا رَبَّ يخلق ما يشاء ويختار سواه).

[(٤٣٨/٣) ـ مكتبة دار السلام ١٤١٣هـ)

وبيَّنُوا ـ وفَّقهم الله ـ الفرقَ بين صفتي الحكم والخلق، وبين العبادة: بأن الأُولَيَيْن مِن صفات الله تعالى، أمَّا الثَّانية فهي من صفات المخلوق.

(أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره ص٦٠، ٦١ عام ١٤١٤هـ)

٧ ـ وقال سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (فقضيَّة الألوهيَّة لم تكن مَحَلَّ خلاف، وإنَّما قضية الرُّبوبيَّة هي التي كانت تواجهها الرِّسالات، وهي التي واجهتها الرِّسالة الأخيرة).

(في ظلال القرآن ص١٨٤٦ ط. دار الشروق)

٨ ـ وقال: (وما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهليَّة والإسلام، وبين الحقِّ والباطل على ألوهيَّة الله سبحانه... إنَّما كان الخلاف وكانت المعركة على من يكون هو رَبُّ الناس). (في ظلال القرآن ص١٨٥٢ ط. دار الشروق)

٩ ـ وقال: (فالألوهيَّة قلّما كانت موضع جدال في معظم

الجاهليات، وبخاصة في الجاهليَّة العربيَّة، إنَّما الذي كان دائمًا موضع جدل هو قضية الربوبية).

(في ظلال القرآن ص٢١١ ط. دار الشروق)

قال مخالفو سيِّد: الإله عند العرب (علماء الشريعة، وعلماء اللُّغة، والعامة): هو المعبود الذي يُتقرب إليه بالعبادة: الدعاء والخوف والرجاء والصلاة والصوم والحج وغيرها، وليس معناه عندهم الحاكم الذي يُتحاكم إليه؛ لقد كان للجاهليين سادة وقضاة يتحاكمون إليهم، ولا يسمُّونهم آلهة، وكان لهم أوثان وأصنام يعبدونها ولا يسمُّونها حكَّامًا، ولا عِبادَتها تحاكُمًا، وكانوا يعترفون بتوحيد الرُّبوبيَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، **وقال تعالى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، **وكانوا يخالفون الرُّسل في توحيد الألوهيَّة؛ قال الله تعالى عنهم:** ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، **قال ابن كثير في تفسيره: (أي أزعم أنَّ المعبود واحد، لا إلٰه إلاَّ هو؟ أنكر المشركون ـ قبحهم الله تعالى ـ وتعجَّبوا من ترك الشرك بالله، فإنَّهم قد تلقّوا عن آبائهم عبادة الأوثان).**

(٣٠/٤)

ب) واستبعد بعض الباحثين وقوع سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ في مثل هذا الخطأ الفاحش، ولو تجرّدوا وتثبّتوا لما استبعدوا.

ج) ولم يُنكر مخالفو سيِّد تركيزه على توحيد الله في الحكم والتشريع، نظريًّا على الأقل، لأنَّه كما تقدم (ص٥٢ ـ ٥٦) استثنى التشريع للحاجة والمصلحة والعرف العالمي، بل إنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ أفرط في التركيز على الحاكميَّة إلى درجة تفريطه ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ في العبوديَّة، إذ جعل الحاكميَّة، والربوبيَّة، والقوامة، والسلطان أخَصّ خصائص الألوهيَّة، وعلى هذا لم يصرف اهتمامًا يذكر للتحذير من الشرك الأكبر: صرف العبادة لغير الله؛ من دعاء، وذبح، ونذر، وطلب مَدَدٍ، بل قال بصريح العبارة بأن عبَّاد الأصنام: (ما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة [عبادة الأصنام]، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثِّلاً في مجرد التخلِّي عن الاستشفاع بهذه الأصنام).

(في ظلال القرآن ص١٤٩٢)

وفي الوقت نفسه جعل اتّباع البشر في الأخلاق، والتقاليد، والعادات، والأزياء؛ (مزاولة للشرك في أخصِّ حقيقته، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله في أخصِّ حقيقتها، ولو توجَّه العبد إلى الله في ألوهيَّته وحده، ودان لشرع الله في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر). (في ظلال القرآن ص٢١١٤ ط.دار الشروق)

بل جعل من الشرك الواضح الظاهر: (الدِّينونة في تقليد مِنَ التقاليد؛ كاتخاذ أعيادٍ ومواسمَ يشرعها النَّاس، ولم يشرعها الله، والدِّينونة في زيٍّ من الأزياء يخالف ما أمر الله به من السّتر، ويكشف ـ أو يحدِّد ـ العورات التي نَصَّت شريعة الله أن تُسْتر). (في ظلال القرآن ص٢٠٣٣ ط. دار الشروق)

❁ ❁ ❁

سابعًا:
تكفير المسلمين عامَّة

أ) أنكر بعض العلماء على الأستاذ سيِّد ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ تكفير جماعة المسلمين دُوَلاً وشُعُوبًا بمثل ما يلي:

١ ـ قول سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنَّها مسلمة... لا لأنَّها تعتقد بألوهيَّة أحد غير الله، ولا لأنَّها تقدِّم الشَّعائر التعبديَّة لغير الله، ولكنَّها تدخل في هذا الإطار لأنَّها لا تدين بالعبوديَّة لله وحده في نظام حياتها... فهي ـ وإن لم تعتقد بألوهية أحدٍ إلاّ الله ـ، تعطي أخصَّ خصائص الألوهيَّة لغير الله، فتدين بحاكميَّة غير الله، فتتلقى مِن هذه الحاكميَّة نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها... موقف

الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلِّها يتحدَّد في عبارة واحدة: أن يرفض الاعتراف بإسلاميَّة هذه المجتمعات كلها).

(معالم في الطريق ص١٠١ ـ ١٠٣ ط. دار الشروق)

٢ ـ وقال: (ارتدّت البشريّة إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلاّ الله، وإن ظَلَّ فريقٌ منها يردِّد على المآذن: لا إله إلا الله).

(في ظلال القرآن ص١٠٥٧ ط. دار الشروق)

٣ ـ وقال: (إنَّ هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم).

(في ظلال القرآن ص٢٠٠٩ ط. دار الشروق)

٤ ـ وقال عن مشركي الجاهلية: (إنَّما كان شركهم الحقيقي يتمثَّل ابتداءً في تلقِّي منهج حياتهم وشرائعهم مِن غير الله، [لا عبادة الأصنام تقرُّبًا واستشفاعًا إلى الله]، الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوام يظنُّون أنَّهم مسلمون على دين محمد، كما كان المشركون يظنُّون أنهم مهتدون على دين إبراهيم).

(في ظلال القرآن ص١٤٩٢ ط.دار الشروق)

٥ ـ وقال: (والذين لا يُفردون الله بالحاكميَّة في أي زمان، وفي أي مكان هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك

أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلاَّ الله مجرد اعتقاد، ولا أن يقدِّموا الشعائر لله وحده).

(في ظلال القرآن ص١٤٩٢ ط.دار الشروق)

قال مخالفو سيِّد: (إنَّ النَّجاشي كان إسلامه مجرد اعتقاد أن لا إلـه إلاَّ الله؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، فلم يطبّق الحاكميَّة في المعاملات، ولا العادات، ولا التقاليد، ولا الأزياء، ولا النظام في دولته بالحبشة، ومع ذلك صلَّى عليه النبي ﷺ وأصحابه، أفرأيت لو أنَّه طبَّق الحاكميَّة [فيما ذكرنا]، ولم يؤمن بعقيدة التوحيد، أيُعَدُّ مؤمنًا؟).

(أضواء إسلاميَّة على عقيدة سيِّد قطب وفكره ص٨٠، عام ١٤١٤هـ)

٦ ـ وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ [يُونس: ٨٧] ـ بعد أن قرَّر فيما سبق دخولَ مسلمي العصر في إطار المجتمع الجاهلي ـ: (وهنا يرشدهم الله إلى اعتزال معابد الجاهلية [مساجدها]، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحسّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي).

(في ظلال القرآن ص١٨١٦ ط.دار الشروق)

٧ ـ وقال: «إنَّه لا نجاة للعصبة المسلمة في كلِّ أرض من أن يقع عليها العذاب إلاَّ بأن تنفصل عقيديًّا وشعوريًّا ومنهج حياة عن أهل الجاهليَّة من قومها، حتَّى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلاَّ أن تشعر شعورًا كاملاً بأنَّها هي الأمَّة

المسلمة، وأنَّ ما حولها ومن حولها مِمَّن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهليَّة، وأهل جاهليَّة).

(في ظلال القرآن ص٢١٢٢ ط. دار الشروق)

٨ ـ وقال: (إنَّه ليست على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله، والفقه الإسلامي). (في ظلال القرآن ص٢١٢٢ ط.دار الشروق)

٩ ـ وقال: (ونقطة البدء الصَّحيحة في الطريق الصَّحيحة هي أن تتبيَّن حركات البعث الإسلامي أنَّ وجود الإسلام قد توقَّف... هذا طريق، والطريق الآخر أن تظُنَّ هذه الحركات لحظة واحدة أنَّ الإسلام قائم، وأنَّ هؤلاء الذين يدَّعونَ الإسلام ويتسمّون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون... فإن سارت الحركات في الطريق الأوَّل سارت على صراط الله وهداه... وإن سارت في الطريق الثاني فستسير وراء سراب كاذب، تلوح لها فيه عمائم تُحرِّف الكلم عن مواضعه، وتشتري بآيات الله ثمنًا قليلاً، وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار).

(العدالة الاجتماعية ص ٢١٦ ط. دار الشروق ١٤١٥هـ)

١٠ ـ وقال: (ونحن نعلم أنَّ الحياة الإسلاميَّة ـ على هذا النَّحو ـ قد توقَّفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأنَّ وجود الإسلام ذاته ـ من ثَمَّ ـ قد توقَّف كذلك).

(العدالة الاجتماعية ص١٨٥ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

١١ ـ وقال: (البشريَّة عادت إلى الجاهليَّة، وارتدَّت عن لا إلٰه إلاَّ الله، فأعطت لهؤلاء العباد [الذين شرعوا التقاليد والعادات، والأعياد والأزياء] خصائص الألوهية، ولم تعد توحِّد الله وتخلص له الولاء؛ البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يردِّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلاَّ الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشدُّ عذابًا يوم القيامة، لأنَّهم ارتدُّوا إلى عبادة العباد من بعدما تبيَّن لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين الله).

(في ظلال القرآن ص١٠٥٧ ط. دار الشروق)

١٢ ـ ولا غرابة في أقواله السابقة عن مسلمي هذا العصر؛ فقد قال عن الذين زعم أنَّ عثمان ﷺ آثرهم بالمناصب والمال مِنَ الصحابة والتابعين أنَّهم: (الذين لبسوا الإسلام رداءً، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار).

(العدالة الاجتماعية ص١٦١ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

١٣ ـ وقال عن رواية غير مسندة لخطبة المنصور العباسي في القرن الثاني: (وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائيًا من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام).

(العدالة الاجتماعية ص١٦٨ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

١٤ ـ وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ

﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] **بعد أن ذكر الشرك الخفي: (وهناك الشرك الواضح الظاهر، وهو الدِّينونة لغير الله في شأن من شؤون الحياة؛ الدِّينونة في شرع يتحاكم إليه، وهو نصٌّ في الشرك لا يجادل عليه، والدِّينونة في تقليد مِنَ التقاليد؛ كاتِّخاذ أعياد ومواسم يشرعها النَّاس ولم يشرعها الله، والدِّينونة في زِيٍّ من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر، ويكشف أو يحدِّد العورات التي نصَّت شريعة الله أن تستر).**

(في ظلال القرآن ص٢٠٣٣ ط. دار الشروق)

قال بعض مخالفي سيِّد: (وفي هذا الكلام أمران خطيران:

أولهما: تكفير المجتمعات الإسلاميَّة بالمعاصي والمخالفات الواقعة في العادات والتقاليد والأزياء، وهذا المذهب أشدُّ خطرًا من مذهب الخوارج.

وثانيهما: تأويل القرآن بغير ما أراده الله بالشرك، إذ المرادُ بالشرك هنا ما استقرَّ في القرآن والسُّنة وعرفه المسلمون، وهو الشرك الأكبر المطلق، وهو اتخاذ أندادٍ مع الله يُدعون، ويُستغاث بهم، ويُذبح لهم، ويُتقرب إليهم، ويُصرف لهم حقُّ الله مِنَ العبادات التي أمرهم أن يعبدوه بها، ويخلصوا بها الدِّين لله).

(أضواء إسلاميّة على عقيدة سيِّد قطب وفكره ص٧٧ عام ١٤١٤هـ)

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

ب) لم يُبدِ المدافعون عن سيِّد موافقة ولا مخالفة للإنكار على سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ تكفيره المسلمين حين يخضعون لنظم، أو تقاليد، أو عادات، أو أعياد، أو مواسم، أو أزياء لم يشرعها الله وإنّما شرعها الناس.

ولكنَّهم أنكروا على كلِّ مسلم ما هو دون التكفير من سبٍّ واتِّهام وتنابز بالألقاب.

بل أنكروا على مخالفي سيِّد ما يمكن أن يُفهم منه التكفير بقول يُوهِم: وحدَة الوجود، وخلق القرآن، وانتقاص نبيٍّ أو خليفة أو صحابيٍّ، وإجازة تشريع لم يأذن به الله؛ للمصلحة والعرف العالمي.

ج) والتكفير بالجملة واضح فيما قُدِّم من أمثلة أُخِذت من ثلاثة من أشهر كتب سيِّد التي لا تزال تطبع وتنشر بعد موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعشرات السنين، ويصفها ناشرها أخوه محمد قطب بالطبعات الشرعيّة ـ عفا الله عنَّا وعنهم ـ.

وقد أنكر عليه ذلك عدد من طلَّاب العلم والمثقفين، بل والمفكِّرين الموصوفين بالإسلاميِّين من حزبه، ولكني لا أَشُكُّ في أنه ـ تجاوز الله عنَّا وعنه ـ لا يعي أو لا يعني ما يُفهم من

قوله؛ لأنَّه عاش طول حياته يتَّبع (شرع البشر) في الزِّي الأجنبي، بل وفي حلق اللِّحية المخالف لشرع الله، تجاوز الله عنَّا وعنه، فضلاً عما هو أكبر منها مما ذكر في هذا البحث من مخالفة الوحي والشرع والفقه من أهله.

❁ ❁ ❁

ثامنًا:
القول بخلق القرآن

أ) أنكر بعض العلماء على الأستاذ سيِّد القول بخلق القرآن في مثل ما يلي:

١ ـ قال سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ عن إعجاز القرآن: (والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعًا، وهو مثل صنع الله في كلِّ شيء، وصنع الناس).

(في ظلال القرآن ص٣٨ ط. دار الشروق)

٢ ـ وقال: (فهذا القرآن ليس ألفاظًا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، إنَّما هو كسائر ما يُبدِعُه الله؛ يعجز المخلوقون أن يصفوه؛ فهو كالروح من أمر الله).

(في ظلال القرآن ص٢٢٤٩ ـ ٢٢٥٠ ط.دار الشروق)

٣ ـ وقال: (ولكنهم لا يملكون أن يؤلِّفوا من هذه [الحروف] مثل هذا الكتاب؛ لأنَّه من صُنع الله لا من صنع الناس). (في ظلال القرآن ص٢٧١٩ ط. دار الشروق)

٤ ـ وقال: (وهذا الحرف [ص] من صنعة الله تعالى؛ فهو موجدُهُ صوتًا، وموجدُهُ حرفًا من حروف الهجاء).
(في ظلال القرآن ص٣٠٠٦ ط.دار الشروق)

ب) ويرى بعض محسني الظنِّ بفكر سيّد قطب أنَّ مُنتهى خطأ الأستاذ سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (تمدّد في الأسلوب؛ كقوله: ولكنهم لا يملكون أن يؤلِّفوا منها [أي: الحروف العربيّة] مثل هذا الكتاب؛ لأنَّه من صنع الله لا من صنع الناس، وهي عبارة لا شَكَّ في خطئها، لكن هل يحكم من خلالها أن سيدًا يقول بهذه المقولة الكفرية: خلق القرآن؟).

ج) ويسهل الجمع بين إنكار المخالفين قول الأستاذ سيِّد بخلق القرآن، وتوقّف المتوقفين عن تحمُّل عُهدة ذلك بما يلي:

١ ـ لم يترك الأستاذ سيِّد مجالاً للشَّكِّ (بترديده وصف الحرف بالصُّنع والإيجاد، والإبداع) في أنه يطابق قول الأشاعرة الذين يردُّون قول المعتزلة أنَّ كلام الله مخلوق إطلاقًا؛ بأنَّ (كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صِفةٌ قائمةٌ بذاته تعالى، وعلى الكلام اللَّفظي بمعنى أنَّه خَلَقه وليس لأحد في أصل تركيبه كسب... ومع كون اللَّفظ الذي نقرؤه حادثًا؛

لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلاَّ في مقام التعليم؛ لأنَّه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضًا، لكن مجازًا على الأرجح).

(شرح جوهرة التوحيد للبيجوري، ص٧٢ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ)

٢ ـ والأستاذ سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ يفصل بين الحرف والمعنى لكلام الله تعالى في أكثر الأمثلة التي أنكرها بعض الباحثين على عقيدة سيِّد قطب وفكره، والمثبتة هنا.

٣ ـ فخطأ سيِّد ـ إذن ـ هو خطأ الأشاعرة، وليس خطأ المعتزلة في القول بخلق القرآن فيما ظهر لي، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

تاسعًا: تأويل الصِّفات

أ) أنكر بعض العلماء على الأستاذ سيِّد تأويل صفات الله تعالى في مثل ما يلي:

١ ـ قال ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]: (وتوجُّه الإرادة يتمُّ بكيفيَّة غير معلومة للإدراك البشري)، ففسّر قول الله تعالى: ﴿كُن﴾ بتَوَجُّه الإرادة، وكرَّرها فيما بعد مرات.

(في ظلال القرآن ص١٠٧ ط. دار الشروق)

٢ ـ ثم قال في تفسيرها بعد: (أهذه النفخة هي الكلمة؟ الكلمة توجه الإرادة؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته؟ كلُّ هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات).

(في ظلال القرآن ص٣٩٨ ط. دار الشروق)

[شَكَّ هذه المرة وحدها فيما أعلم فجعلها من المتشابه، وفيما بعد قَرَّر أنَّ معناها توجّه الإرادة كما فعل من قبل].

٣ ـ وقال في تفسيره قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١، ١٢]؛ ﴿نُودِيَ﴾: (بهذا البناء للمجهول، فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا اتجاهه، ولا تعيين صورته ولا كيفيَّته، ولا كيف سَمِعَهُ موسى أو تلقَّاه، نودي بطريقة ما فتلقى بطريقة ما).

(في ظلال القرآن ص٢٣٣٠، ٢٣٣١ ط. دار الشروق)

٤ ـ وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]: (فتوجُّه الإرادة لخلق الشيء كافٍ وحده لوجوده كائنًا ما يكون، إنَّما يقرِّب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشري المحدود).

(في ظلال القرآن ص٢٩٧٨ ط. دار الشروق)

٥ ـ وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]: (العرش؛ نؤمن به كما ذكره، ولا نعلم

حقيقته، أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق، استنادًا إلى ما نعلم من القرآن عن يقين من أنَّ الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال، فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش، ثم تتبعها حالة استواء، والقول بأنَّنا نؤمن به [بالاستواء] ولا ندرك كيفيَّته [وهو قول أهل السنَّة والجماعة] لا يفسِّر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. (في ظلال القرآن ص٣٤٨٠)

٦ ـ وقال عن وزن الله تعالى للأعمال: (لما كان التجسيم خُطّة عامَّة صوَّر الله تعالى الحساب في الآخرة كما لو كان وزنًا مجسّمًا للحسنات والسيِّئات، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، **﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾** [القارعة: ٦]، **﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾** [القارعة: ٨]، **﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾** [الأنبياء: ٤٧]، **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾** [النساء: ٤٩]، **﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾** [النساء: ١٢٤]، **وكل ذلك تمشِّيًا مع تجسيم القرآن).**

(التصوير الفني في القرآن ص٨٣ دار الشروق عام ٢٠٠٠)

٧ ـ وقال في قول الله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، **﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾** [هود: ٧]، **﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾** [البقرة: ٢٥٥]، **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾** [الحديد: ٤]، **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾** [فصلت: ١١]، **﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾** [الزمر: ٦٧]، **﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ**

رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]: **(إن هي إلاَّ جارية على نَسَقٍ متّبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجرّدة وتثبيتها، ويجري على سنن مطّرد لا تخلُّف فيه ولا عوج؛ سنن التخييل الحسّي والتجسيم، في كلِّ عمل من أعمال التصوير)، ورأى أنَّ ما قيل غير ذلك، [ومنه قول أهل السُّنَّة والجماعة كما تقدَّم]: جدل... حينما أصبح الجدل صناعة، والكلام زينة).**

(التصوير الفني في القرآن ص ٨٥ دار الشروق عام ٢٠٠٠)

٨ ـ وقال: (فأمَّا مجيء ربك والملك صفًّا صفًّا؛ فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته... كذلك المجيء بجهنم؛ نأخذ منه قربها منهم... فأمَّا حقيقة ما يقع وكيفيَّته؛ فهو من غيب الله المكنون).

(في ظلال القرآن ص٣٩٠٦ ط. دار الشروق)

ب) لم يُبدِ المتوقفون مخالفةً للمنكرين على سيِّد قطب، ولا تأييدًا له في تأويله صفات الله تعالى؛ فمنهجهم منهج أهل السُّنة والجماعة (الذي صرح سيِّد بمخالفته فيما سبق): إمرار الصفة كما جاءت في كتاب الله أو سُنَّة رسوله ﷺ على المعنى المعروف في اللُّغة، ونفي التكييف، ووجوب الإيمان بذلك، والحكم بابتداع من أوَّلها، كما ورد عن الإمام

مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: الاستواء معلوم، [في لغة العرب]، والكيف مجهول، والإيمان به [بالاستواء] واجب، والسؤال عنه [عن كيف استوى] بدعة.

ج) ومرّة أخرى يتَّضح أن منهج سيِّد في تأويل الصفات كما هو في القول بخلق لفظ القرآن هو منهج الأشاعرة، وخطؤه في كل ذلك تابع لأخطائهم، عفا الله عنَّا وعنهم جميعًا، وفكره تقليد لفكرهم.

❁ ❁ ❁

عاشرًا: منهاج سيِّد وأسلوبُه في التفسير

الكلام عن القول بخلق القرآن وتأويل الصفات في فكر سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ لا يكون وافيًا بحقِّ الكاتب والقارئ دون بيان منهاج سيِّد وأسلوبه في التفسير ـ بخاصة ـ، وتقديم نماذج من كتبه التي لا يزال أخوه يطبعها (طبعة شرعية بزعمه) بعد موته بعشرات السنين، دون تغيير.

أ) في كتاب سيِّد (التصوير الفني في القرآن) بيان واضح عن المنهاج الذي اختاره سيِّد قطب لتدبُّر القرآن، وصرَّح بمخالفته ما كان عليه سلف الأمة جميعًا في عصر نزول

القرآن، وعصر الصَّحابة بعد انقطاع النُّزول بموت النَّبي ﷺ، وعصر التابعين، وبقيَّة القرون المفضلة التي كان أهلها خير الناس فقهًا في الدِّين وعدالة بشهادة رسول الله ﷺ، ـ مما أوحى الله إليه ـ.

١ ـ قال سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ: (بعض النَّاس [كل علماء السَّلف القدوة] حين ينظر في هذه الموضوعات [الأهداف الدِّينية التي أنزل الله القرآن لتحقيقها، والموضوعات الإلٰهية والتشريعية التي تناولها]، ويرى ما فيها من دِقَّةٍ وعَظَمَةٍ، وصلاحية ومرونة؛ يحسبها ميزة القرآن الكبرى، ويحسب أنَّ طريقة التعبير القرآنية تابعة لها... أمَّا نحن فنريد أن نقول إنَّ الطريقة التي اتَّبعها القرآن في التعبير هي التي أبرزت هذه الأغراض والموضوعات؛ فهي كفاءُ هذه الأغراض والموضوعات).

(التصوير الفني في القرآن ص٢٣٩ دار الشروق عام ٢٠٠٠)

٢ ـ وقال ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ عن تدبُّر القرآن في عصر نزوله: (لقد تلقَّوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون، هؤلاء يُسْحَرون فيؤمنون، وهؤلاء يُسْحرون فيهربون، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عمّا مسَّهم منه، فإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر من صورة المسْحُور المبهور؛ هذا عمر بن الخطاب يقول: فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام...

وهذا الوليد بن المغيرة يقول: والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، ثم يقول: إنْ هذا إلا سحر يؤثر، وهذا القرآن نفسه يصف أثره في نفوس المؤمنين به ونفوس الذين أوتوا العلم من قبله، بأنَّه ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]، و﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وهؤلاء كفَّارُ قريش يقولون في لجاجة الإنكار: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفُرقان: ٥]، هذا كلُّه يقال، وهذا كلُّه يقع، فلا تجد فيه صورة واضحة عن الجمال الفني في القرآن... وتلك مرحلة التذوُّق الفطري للفنون).

(المصدر نفسه ص٢٥ و٢٦)

٣ ـ ثم قال ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ عن تدبُّر القرآن أو تفسيره في عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ: (فإذا تجاوزنا عصر نزول القرآن؛ رأينا بعض الصحابة يتعاطون تفسير القليل منه اعتمادًا على القليل المنقول عن النبي ﷺ، وبعضهم يحاول في حذر وخشية أن يؤوِّل بعض الآيات، وبعضهم يمتنع من هذا خشية أن يكون فيه مأثم ديني).

(المصدر نفسه ص٢٦)

٤ ـ ثم قال عن التفسير في عهد التابعين: (فلمَّا كان عصر التابعين نما التفسير نموًّا مُطَّردًا، ولكنَّهم كانوا يقتصرون

في تفسير الآية على المعنى اللُّغوي الذي فهموه مِنَ الآية بأخصر لفظ). (المصدر نفسه ص ٢٧)

قلت: إنما كان اهتمامهم باللفظ وسيلة لفهم المعنى وهو الأهمّ. أمّا التصوير والجمال الفني فابتداع يصدُّ عن التَّدبّر.

٥ ـ ثُمَّ قال عن التفسير في بقيَّة القرون المفضلة: (ثم أخذ التفسير ينمو ويتضخَّم ابتداءً من أواخر القرن الثاني، ولكن بدلاً مِن أن يبحث عن الجمال الفني في القرآن وتناسقه مع الجمال الموضوعي البالغ حَدَّ الكمال، أخذ يغرق في مباحث فقهيَّة، وجدليَّة، ونحويَّة، وصرفيَّة، وتاريخيَّة، وأسطوريَّة، وبذلك ضاعت الفُرصة التي كانت مُهيَّأة للمفسِّرين لرسم صورة واضحة للجمال الفني في القرآن) (التصوير الفني في القرآن ص٢٧ ط. دار الشروق عام ٢٠٠٠). وهكذا استدرك سيد قطب على تفسير النبي ﷺ والصحابة والتَّابعين ومتبعيهم من القرون الخيِّرة رضي الله عنهم لضلاله عما كانوا عليه من هدى في تبيان مراد الله من كلامه.

٦ ـ ثم قال عن التفسير عند الخلف: (رجل [واحد] مُتأخِّر نوعًا، كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن، (هو الزمخشري). قلت: هو كبير دعاة الاعتزال في القرن السادس). (المصدر نفسه)

٧ ـ ثم قال: (رجل واحد من الباحثين في البلاغة والإعجاز سابقٌ للزمخشري، بلغ غاية التوفيق المقدّر لباحثٍ في عصره، هو عبد القاهر الجرجاني [النحوي الأشعري]، فلقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه (دلائل الإعجاز)، لولا أنَّ قصَّة المعاني والألفاظ ظلَّت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مِمَّا كان وشيكًا أن يصل إليه... لقد كان النبع منه على ضربة معول، فلم يضربها).

(المصدر نفسه ص٣٠ ـ٣٣)

ويتبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ أكبر هَمٍّ سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ ما أسماه (التصوير والجمال الفني) في لفظ القرآن قبل المعنى، مخالفة لقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، **وكان هذا للأسف أهم ما جذب قرَّاءه إلى فكره، وما شغلهم عن (المباحث الفقهية والنحويَّة)، وعن (قصة المعاني والألفاظ) التي ظنَّ أن مَن سبقوه منذ عصر النبوَّة أخطأوا بالانشغال بها عن البحث في (التصوير والجمال الفنِّي)؛ فلم يقتنع بمنهاج السَّلف في القرون المفضَّلة، ووجد قدوته عند الجرجاني الأشعري، وبدرجة أقل عند الزمخشري شيخ خَلَف المعتزلة.**

ب) وإذا تميَّز سيِّد قطب على من سبقه ومن لحقه مِمَّن حاولوا تفسير القرآن الكريم (بضربة المعول في نبع الجمال الفني في القرآن)؛ فلا عجب أن يكونَ أسلوبه في التفسير

مخالفًا لأئمة التَّفسير والحديث والفقه في الدِّين، منذ أنزل الله كتابه المبين، حتى اتَّجه سيِّد إلى (خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم)، كما قال بعض المخدوعين بأسلوبه؛ (ليُبْعِد عن القرآن) ما أَسمَاهُ: (جناية الطريقة المتبعة في التفسير).

قلت: وهذه الطريقة هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون وتابعو التابعين رضي الله عنهم وأرضاهم.

وكان من نتائج خروجه عن منهاج السَّلف في التفسير ما يلي:

١ ـ وصف كلام الله تعالى بمفردات اللَّهو والسِّحر والشَّعوذة: (الفن، والشعر، والتمثيل، والمسرح، والسينما، والتصوير، والرسم، والألوان، والموسيقى، والسحر، والهينمة، والتعويذة)، ولم يدَّخر بعض تفاصيلها: (الوَتَر، والإيقاع، والجَرْس، والمقطوعة، والأصداء، والنغم، والألحان، والتشخيص، والمشاهد المسرحية والسينمائية، والبطل، والنظَّارة، والسّتار، والريشة، والظل، ووحدة الرسم، واللوحة الطبيعية، وتناسق الإخراج، وتناسق التصوير، والتناسق الفني... إلخ).

٢ ـ وصف آياتٍ من سورة «الفجر» بـ: (الموسيقى الرَّخية المتماوجة)، ووصف آيات منها بـ: (العرض العسكري الذي تشترك فيه جهنّم بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدَّقات).

(التَّصوير الفنِّي في القرآن ص٩٧، ط.دار الشروق عام ٢٠٠٠)

٣ ـ وصف سورة «النازعات» بنوعين من الموسيقى: (السريعة الحركة، قصيرة الموجة، قويَّة المبنى، تنسجم مع جو مُكَهْرب سريع النبض، شديد الارتجاف) و(الوانية الحركة الرّخيَّة الموجة، المتوسطة الطول، تنسجم مع الجو القصصي).
(المصدر نفسه ص١١١)

٤ ـ وصف سورة «الضُّحى» بـ: (الموسيقى الرتيبة الحركات، والوئيدة الخطى، الرقيقة الأصداء، الشجيّة الإيقاع). (المصدر نفسه ص١٢٥)

٥ ـ وصف سورة «اللَّيل» بأنَّ (الموسيقى المصاحبة فيها أخشن وأعلى من موسيقى «الضحى»). (المصدر نفسه ص١٢٨)

٦ ـ وصف سورة «العاديات» بموسيقى (شبيهة بموسيقى (النازعات)، بل هي أشدُّ وأعنف، وفيها خشونة، ودمدمة، وفرقعة). (المصدر نفسه ص١٢٦)

٧ ـ وصف آيات في سورة «الفجر» (بالموسيقى الحادَّة التقاسيم). (في ظلال القرآن ص٣٩٠٦ ط.دار الشروق)

٨ ـ وصف آيات أخرى في سورة «الفجر» بقوله: (يا لجمال النغم). (المصدر نفسه ٣٩٠٣)

٩ ـ وصف سورة «الفجر» عامَّة بقوله: (إنَّها تؤلِّف ألوانًا

متنوعة، تؤلِّف من تفرُّقها وتناسقها لحنًا واحدًا متعدِّد النغمات، موحَّد الإيقاع). (المصدر نفسه ص٣٩٠١)

١٠ ـ وصف بعض آيات سورة «الفجر» بقوله: (وفي بعض مشاهدها شدّ وقصف، سواء مناظرها أو موسيقاها).

(المصدر نفسه ص٣٩٠٢)

١١ ـ استنبط: (موسيقى الدُّعاء المتموِّجة الرخيَّة، الطويلة الخاشعة) من قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عِمرَان: ١٩١]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، (منسجمة مع الدُّعاء كلّ الانسجام بالتطريب، والتموُّج، والاسترسال).

(التصوير الفني في القرآن ص١١٢)

١٢ ـ استنبط (موسيقى الطُّوفان) من قول الله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هُود: ٤٢]. (المصدر نفسه ص١١٣)

١٣ ـ وصف القرآن عامَّة بقوله: (القرآن يرسم صُوَرًا، ويعرض مشاهد يتوافر لها أدقّ مظاهر التناسق الفني في ماء الصورة، وجوّ المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرُّقعة الموضوعة). (المصدر نفسه ص١١٤)

١٤ ـ أَكَّد أنَّه يعني (ولا يُكَنِّي) موسيقى اللَّهو حقيقة بقوله: (تفضَّل الموسيقي المبدع الأستاذ محمد حسن الشجاعي

بمراجعة هذا الجزء الخاص بالموسيقى في القرآن الكريم، وكان له الفضل في ضبط بعض المصطلحات الفنية الموسيقيَّة). (المصدر نفسه ص١٠٢)

١٥ ـ أَكَّدَ أنَّه يعني (ولا يُكَنِّي) رسم وصور اللَّهو بقوله: (تفضَّل الأستاذ الفنان ضياء الدِّين محمد مفتّش الرسم بوزارة المعارف بمراجعة هذا القسم الخاص بتناسق الصور).

(المصدر نفسه ص١١٤)

١٦ ـ قال في تفسير سورة «الفلق»: (والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق (بين اللَّون الذي ترسم به، والتدرُّج في الظلال مع الفكرة والموضوع)، كما يلاحظ التوزيع في المشاهد المسرحيَّة والسينمائية، والتصوير في القرآن يقوم على أساسه، خُذ مثلاً سورة من السُّور الصغيرة الَّتي رُبَّما يحسب البعض أنَّها شبيهة بسَجْع الكهان أو حكمة السجاع. خذ مثلاً سورة «الفلق»؛ فما الجوّ الذي يراد إطلاقه فيها؟ جوّ التعويذة بما فيه من خفاءٍ وهينمةٍ، وغموضٍ وإبهام).

(المصدر نفسه ص١١٥)

١٧ ـ جَمَعَ بين قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله تعالى عن الكافرين: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]: بأن (القرآن الكريم صدق؛ إذ لا تتوفر له

[للقرآن] القافية والتفاعيل، وإن توفرت له بقيَّة خصائص الشعر الأساسيَّة، ولكنَّ العرب لم يكونوا مجانين ولا جاهلين بخصائص الشعر يوم قالوا: إنَّه شعر، لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسَحَر وُجْدانهم بما فيه من إيقاع جميل، وتلك خصائص الشِّعر الأساسيَّة إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل). (المصدر نفسه ص١٠٢)

١٨ ـ وَصفَ كلام الله تعالى بأنَّه أخذ مِن خصائص الشعر: (الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتّقفية التي تغني عن القوافي)، وضمّ إلى ذلك الخصائص التي ذكرنا: (التصوير البارع، والمنطق السّاحر، والإيقاع الجميل). (المصدر نفسه ص١٠٢ و١٠٣)

١٩ ـ ضرب مثلاً لِمَا أخذه القرآن من الشعر؛ القافية، والإيقاع، والوزن، بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]: (فلو أنَّك قلت: ومناة الثالثة؛ لاختلَّت القافية، وَلَتَأَثَّر الإيقاع، ولو قلت: ومناة الأخرى؛ فالوزن يختلّ)، وبقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مَريَم: ٤]: (لو قلت: قال رب إنِّي وهن منّي العظم، لأحسستَ بما يشبه الكَسْر في وزن الشعر، ذلك أن (منّي) تتوازن مع (إنِّي) هكذا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مَريَم: ٤]). (المصدر نفسه ص١٠٤ و١٠٦)

٢٠ ـ قال عن كلام الله تعالى: (فمرّةً يكتُم سرَّ المفاجأة عن البطل [بطل الرواية: موسى]، والنّظَّارة [المتفرجين: قارئي القرآن]؛ حتى يُكشف لهم في آن واحد)، في قصة موسى مع العبد الصالح. (المصدر السابق ص١٨٣)

(ومرة يكشف السِّرَّ للنظارة) المتفرجين على المسرحيَّة ويقصد بهم هنا: القرَّاء، (ويترك أبطال القصَّة عنه في عماية)، في قصة أصحاب الجنَّة إذ أقسموا ليَصرِمُنَّها مُصبحين ولا يستثنون، (وقد ظَلَلْنَا نحن النَّظَّارة نسخر منهم وهم يتبادرون ويتخافتون، حتى انكشف لهم السِّرّ أخيرًا بعد أن شبعنا تهكُّمًا وسخرًا). (المصدر نفسه ص١٨٦)

٢١ ـ قال ـ تجاوز الله عنَّا وعنه ـ عن قول الله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]: (إنَّها لصورة مضحكةٌ أن يأخذ كلّ إله مخلوقاته، إلى أين؟ لا ندري! ولكننا نتخيَّل هذه الصُّورة فنضحك من فكرة تعدُّد الآلهة إذا كانت نتيجتها هذه النتيجة). (المصدر نفسه ص٢٣١)

٢٢ ـ ضرب مثلاً بقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣]: (لاشتراك الجَرْس [مِن الموسيقى]، والظِّلّ [من الرّسم])، وشرَّح لفظ الدَّعِّ فوجده قد (جمع بين الدَّفع في الظهر بعنف، والصوت الذي يخرجه المدفوع، فيه عين ساكنة، هكذا: (أَعْ). (المصدر نفسه ص٩٥)

فكر سيِّد قطب
في رأي بعض علماء الأمّة

أ) سبقت الإشارة إلى أقوال عدد من منكري فكر الأستاذ سيِّد قطب ـ تجاوز الله عنه وعنهم ـ، وأوَّلهم: الأستاذ محمود شاكر والشيخ عبد الله الدويش ـ رحمهما الله ـ وحُكْم الشيخين ناصر الدِّين الألباني ومحمد بن عثيمين ـ رحمهما الله ـ على فكر الأستاذ سيِّد قطب، ومنه: ما يفهم منه قوله بفرية وحدة [أو أحديَّة] الوجود، وسبق وسيلحق إن شاء الله الإشارة إلى ما كتبه أبرز نقَّاده: الشيخ د. ربيع المدخلي ـ وفقه الله ـ، وما كتبه الشيخ د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ من إنكار عامّ للمناهج والوسائل المحدثة في الدِّين والدعوة.

ب) ويضاف إليها هنا ما تيسَّر من أقوال وفتاوى لكبار العلماء المنكرة لما تبيّنوه من أخطاء الأستاذ سيّد المخالفة لشرع

الله في كتابه وسنّة رسوله بفهم سلف الأئمة علماء الاعتقاد والفقه والتفسير رحمهم الله جميعًا:

١ ـ قرئ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارات البحوث العلميَّة والإفتاء وَصْف سيِّد قطب (معاوية وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالكذب والغش والخديعة والنِّفاق والرشوة)، فأجاب: (هذا كلام باطنيّ خبيث أو يهودي لعين، ما يتكلَّم به مسلم، ومعاوية وعمرو من فضلاء الصحابة، رضي الله لهم الدِّين ولا يَشُكُّ فيهم مسلم، وما فعلوا شيئًا يعاب عليهم، وكل ما قاله أولئك [إشارة لما قرئ على الشيخ من كتاب (كتب وشخصيات) لسيد قطب ص٢٤٢ ط. دار الشروق ـ طبعة شرعية بزعمهم] فرية وتضليل وعنوان نفاق ممّن قاله)[1].

٢ ـ وقرئ كلام سيِّد نفسه على سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في سبِّ معاوية وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: (هذا كلام قبيح وكلام منكر... وإن سبَّه لبعض الصحابة منكر وفسق يستحقُّ أن يؤدَّب عليه، ولكن إذا سبَّ أكثرهم وفسَّقهم: يَرْتَدُّ، لأنهم حَمَلة الشرع، فإذا سبَّهم قَدَح في الشرع).

(براءة علماء الأمّة للشيخ د. عصام السّناني ص٣١)

(١) عن محاضرات التوحيد بالطائف صيف عام ١٤٢٦ في جامع والدة خادم الحرمين أثابهما الله الجنّة.

ولم يرضَ بقول سيِّد غير دولة إيران الشيعيّة، فكافأته وأجزلت؛ فأصدرت طابع بريد باسمه وصورته، ورفعت اسمه على عدة طرق.

وقرئ على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وصف سيِّد نبيَّ الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه (الزّعيم المندفع العصبيّ المزاج)، ووصفه له (بالتَّعصُّب القومي والانفعال العصبي).

(التصوير الفني في القرآن، ط. دار الشروق، ص٢٠٠)

فأجاب: (الاستهزاء بالأنبياء ردّة مستقلة).

(البراءة، د.عصام السناني الأستاذ بجامعة القصيم، ص٢٩)

وسئل معالي الشيخ صالح اللحيدان، عضو هيئة كبار العلماء عن كتاب سيِّد (في ظلال القرآن)؛ فأجاب: (هو مليء بما يخالف العقيدة الصحيحة)، وعن بقية كتبه؛ فأجاب: (لا تُعَلِّم العقيدة الصحيحة، ولا تُقَرِّر الأحكام، ولا يعتمد عليها في ذلك).

(البراءة ص٥٢ ـ ٥٣)

وقرئ على الشيخ حماد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة رَحِمَهُ اللَّهُ قول سيِّد عن الإسلام بأنه: (العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحيّة والشيوعيّة مزيجًا كاملاً يضمن أهدافهما جميعًا ويزيد عليهما التَّوازن والتَّناسق والاعتدال).

(معركة الإسلام والرأسماليَّة ص ٦١ ط١٣، ط.الشروق)

فأجاب: (لو كان حيًّا فيجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا قُتِلَ مرتدًّا، ولو كان ميِّتًا فيجب أن يُبيّن أن هذا الكلام باطل، ولا نكفِّره لأننا لم نُقِمْ عليه الحجَّة).

(العواصم مما في كتب سيِّد قطب من القواصم ج٧ ص١٤٨ ـ١٤٩)

وقال العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (من قال إن الإسلام مزيج من هذا وهذا فهو إمّا جاهل بالإسلام وإمّا مغرور بما عليه الأمم الكافرة). (المصدر نفسه ج٧ ص١٤٧)

وسئل الشيخ د. صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء عن قول سيِّد قطب في تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]: (ذلك حين كان الرِّق نظامًا عالميًّا تجري المعاملة فيه على المثل... ولم يكن للإسلام بُدٌّ من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العَالَمُ على نظام آخر غير الاسترقاق).

(في ظلال القرآن، ط.دار الشروق ص١٦٦٩، و٢٣٠ و٢٤٥٥ و٣٢٨٥)

فأجاب: (هذا الكلام باطل... ومن قاله متعمِّدًا فإنه يكفر، أما من قاله جاهلاً أو مقلِّدًا فهذا يعذر بالجهل، [والله شرع] الرقّ وهو موجودٌ ما وُجِد الجهاد في سبيل الله).

(١٤١٦/٨/٤ في شريط بصوته زاده الله توفيقًا)

وسئل الشيخ عبد الله الغديان عضو هيئة كبار العلماء عن قراءة طلّاب العلم كتب سيِّد قطب، فأجاب: (يُنْصحون بعدم

قراءتها بل يَقْتَصرون على دلالة الكتاب والسُّنّة وما كان عليه الخلفاء الأربعة والصحابة والتابعون والأئمة الأربعة).

(من شريط أقوال العلماء في إبطال قواعد ومقالات)

وسئل الشيخ عبد المحسن العبَّاد ـ زاده الله توفيقًا ـ عن (تفسير سيِّد قطب)، فأجاب: (هو من التفاسير المبنية على الرأي، وليست على النقل ولا على الأثر... وإنما يرجع طلَّاب العلم إلى تفسير أهل العلم مثل ابن جرير وابن كثير... ويأتي في (تفسير سيِّد قطب) كلمات لا يليق بالمسلم أن يتفوَّه بها).

وقال: (والتوحيد لا يؤخذ من كلام سيِّد قطب وإنما يؤخذ من كلام العلماء المحققين المبنيّ على [الآيات] والأحاديث المسندة لا على الكتابات الأدبيّة).

(بعد درس على النسائي في المسجد النبوي ١٤١٤/١١/٧)

وسئل الشيخ صالح آل الشيخ ـ زاده الله توفيقًا ـ عن تفسير سيِّد قطب (في ظلال القرآن)، فأجاب: (اشتمل على كثير من البدع والضلالات، وفيه من التحريفات أكثر مما في تفسير محمد بن علي الصابوني).

وهو يؤوِّل الاستواء [على العرش بالهيمنة]، ويفهم من تفسيره سورة «الإخلاص» ميل إلى بعض مذاهب المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود.

ولا يَفْهم تفصيل أهل العلم في مسألة طاعة البشر، [مثل

قوله: إنّ الزيَّ المفروض من آلهة البشر سواء في الملابس أو العربات أو المباني أو المناظر أو الحفلات ليمثِّل عبودية صارمة... فكيف تكون الدّينونة إن لم تكن هي هذه؟].

(في ظلال القرآن ص١٩٤٠ ط.دار الشروق)

فطالب العلم يتعلَّم دينه من كتب السلف الصالح، أما الكتب المشتملة على الباطل فقد توقع في نفسه شبهة).

(من شرحه كتاب مسائل الجاهلية شريط ٧ وجه٢)

قلت: ولا أعرف أن أحدًا من علماء السُّنّة كفّر سيِّد قطب (فضلاً عن الشيعة فهم يقدِّسونه وأصدروا في إيران طابعًا بريديًّا باسمه ورسمه، وأطلقوا اسمه على سبعة شوارع وطُرُق مكافأة له على سبِّه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم)، وليس التكفير مطلبًا لأحد، بل المهمّ: التحذير من قوله على الله وأوليائه بغير علم.

فكر سيِّد قطب
بين بكر وربيع

أ) أمَّا الشيخ د. ربيع المدخلي ـ حفظه الله قدوة صالحة ـ فكُتُبه: (أضواء إسلامية على عقيدة سيِّد قطب وفكره)، و(مطاعن سيِّد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ)، و(الحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل)، و(العواصم مِمَّا في كتب سيِّد قطب من القواصم)؛ تُبيِّن مخالَفَتَهُ التَّامة، وإنكاره الشَّديد لمنهاج سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ وأسلوبه، وتكفير بعض أقواله وأحكامه، وإن صرَّح بعدم تكفير شخصهِ، والشيخ ربيع خير وأشمل من بيّن حقيقة فكر سيِّد قطب وبعده عن منهج الفقه في الدِّين.

ب) وأمَّا الشيخ د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: فكلُّ كتبه تظهر موافقته الشيخ د. المدخلي عمومًا في إقراره وإنكاره، ولكن رسالته (المفترى عليه نشرها، بل أنكر نشرها وبيّن أنه لم يوقّعها وأنها نُشِرت من قِبل مجهول بعد سبعة أشهر من

تاريخها) لأخيه خالَفَتهُ في أسلوب نقده لفكر سيِّد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ، والفتاوى العامة هي ما يعتدُّ به؛ أمَّا الرسائل الخاصة، فتحكمها أحوالها الخاصة، ولا وزن لها إذا خالفت الفتاوى العامَّة:

١ ـ وصف الشيخ د. بكر رَحِمَهُ اللَّهُ أسلوب سيِّد بالتَّحليق وبالسّموّ، وَصِفَةُ التَّحليق لا مشاحّة في استعمالها للصالح والطالح؛ فهي كما قال د. بكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن التوقير تصلح للمدح والذَّمّ، فكما أن كلاًّ يُوَقَّرُ بما يَستحق، فإنَّ كُلاًّ يُحَلَّق على شاكلته: النُّسور والعقبان، والرَّخم والغربان، وأكثر تحليق العرب اليوم في الخيال، ردَّهم الله إلى دينه ردًّا جميلاً.

وأمَّا السُّموُّ فلا أظُنُّ من يدافع عن سيِّد قطب بعد قراءة كافية لما كَتَب، أو كُتِب عنه إلاَّ وهو حريٌّ بالتوبة عن دفاعه إذا وزن أقوال سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ بفقه السلف الأُوَل أو بفقه الشيخ د. بكر أبو زيد من المتأخرين رَحِمَهُ اللَّهُ الذي اختاره لكل مسلم وبخاصة في كتابيه: (معجم المناهي اللفظية)، و:(فقه النوازل: المواضعة في الاصطلاح)؛ فقد أنكر معظم المصطلحات الحديثة التي أشاعها سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ في الأمة مثل: عالمية الإسلام، موقف الإسلام من الربا، رأي الشرع ورأي الدِّين ورأي الإسلام، تطوُّر الفقه الإسلامي، أسلمة المعرفة، الفكر الإسلامي، التَّصوُّر الإسلامي، تقنين الأحكام، قانون الأحوال الشخصية، وإليك المثال مضافًا إلى ما سبق:

قال سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنَّ شريعة الله تعني كل ما شرعه الله

لتنظيم الحياة البشرية، وهذا يتمثل في أصول الاعتقاد والحكم... ثم يتمثل في التشريعات القانونيَّة التي تنظم هذه الأوضاع، وهو ما يطلق عليه اسم الشريعة غالبًا بمعناها الضيِّق الذي لا يمثل حقيقة مدلولها في التَّصوُّر الإسلامي).

(معالم في الطريق ص١٣٦ ـ ط.١٠ دار الشروق)

أمَّا الأمر الذي قد يكون غريبًا، فهو الرجوع في شأن النشاط الفكري والفني إلى التَّصوُّر الإسلامي ومصدره الربَّاني... وفي النشاط الإسلامي صدر كتاب كامل: (منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب). (المصدر نفسه ص١٣٧)

٢ ـ نقل الشيخ د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: (لا يحلُّ امتحان الناس بأسماء ليست في الكتاب والسُّنة؛ فإنَّ هذا خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ).

وعن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: (ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النَّصِّ مهما أمكَنَه؛ فإنَّه يتضمن الحكم والدَّليل؛ فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل في أحسن بيان، وقول الفقيه المعيّن ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمَّة الذين سلكوا على منهاجهم يَتَحَرُّون ذلك غاية التَّحرِّي، حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقّوا لهم ألفاظًا غير ألفاظ النُّصوص، فأوجب ذلك هجر النُّصوص).

(التقنين والإلزام ص٩٢ ـ ط٢ ١٤٠٣هـ)

٣ ـ قال الشيخ د. بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض إنكاره بعض المصطلحات القطبية مثل: روح الدِّين الإسلامي، وروح الشريعة، وروح الإسلام: (أهل العلم في هذا الزمان يعيشون في زحمة زحف مهول من عاميَّة الثقافة المعاصرة، ومن توليد المصطلحات، ومن الوقوع في دائرة اصطلاح المتصوفة من حيث لا يشعرون، ومن هذه هذا اللَّفظ ونحوه).

(معجم المناهي اللفظيَّة ص١٧٣ ـ دار ابن الجوزي)

٤ ـ قال الشيخ بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (لفظ الروحانية، وهذه البلاد فيها روحانية، وهذه المجالسة فيها روحانية وهكذا، كلُّها مصطلحات صوفيَّة لا عهد للشريعة بها؛ فعلى المسلمين تجنُّبها وإن كان لها بريق، فعند تأمُّل البصير لها يجدها خواء أو تشتمل على منابذة للشريعة بوجه ما).

(معجم المناهي اللفظية ص١٧٣ ـ دار ابن الجوزي)

قلت: وأخذها الصوفيَّة من الوثنيّة الهندوسية مع كثير من المعاني والمظاهر (من: الفناء، والوحدة، والعشق الإلهي، والحلول، إلى: الرهبانية وهزّ الرأس أو الجسم عند الذِّكر، واستعمال المسبحة)، أو مِن النصرانية Spirituality في الإنكليزية للمصدر و: Spiritual للصِّفة، ومصدرها الأوّل: الوثنية الهنديّة ثم اليونانية.

٥ ـ وقال: (فعلى المسلمين نبذ المصطلحات المولَّدة

الرّكيكة في معناها ومبناها، والتي تقطع الصلة بحبل العلم والإيمان... في فوضى الاصطلاحات التي تذبح الأصالة، وتقتل الذات، وتُفقد الخصوصية والتميُّز الحضاري، وتجعل المسلم في إطار مصطلحات غريبة عن دينه ولغته، ويعيش في دوامة من التناقض بين اعتقاده وثروة أسلافه، وبين ما يسمعه ويعيش في منظومته الحضارية).

(معجم المناهي اللفظيَّة ص٢٤٤ ـ دار ابن الجوزي)

فضلاً عن وصف القرآن بالموسيقى والتصوير والتّمثيل والفنّ والشعر والتعويذة والسحر والصورة المضحكة... إلى آخر ما أحدثه سيِّد ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ في التفسير العصري، وشغل به المسلمين عن تدبُّر معاني كتاب الله ﷻ على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

٦ ـ ومن حيث المنهاج، وهو ما يصعب فصله عن الأسلوب في فكر سيِّد رحمه الله؛ فإنَّ الشيخ د. بكر رحمه الله يخالف سيِّد مخالفة تامة في القول بأَحَدِيَّة الوجود، أو الإيهام به، وانتقاص نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وعثمان رضي الله عنه وعهده، وعدد من أصحاب رسول الله ومنهم المشهود لهم بالجنَّة والذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وفي جواز تغيير أو إلغاء حكم الرِّق تمشيًا مع العرف العالمي، ونزع الملكيَّات والثروات المكتسبة بوسائل شرعيَّة، وفرض الضرائب لتحقيق الخدمات العامة، وفي تحريم الكسب بغير طريق

العمل، وفي القول على الله بغير علم في التفسير العصري، وفي محبَّةِ كلِّ مخلوق، وفي موادَّة كلِّ كافر إلا الحربي، وفي تكفير مجتمعات المسلمين المعاصرة، وفي القول بخلق حروف القرآن، وفي تأويل صفات الله تعالى وردّ قول السَّلف بالإيمان بمعانيها وعدم إدراك كيفيَّاتها، وفي إنكار حقيقة العرش والوزن واستواء الله على العرش ومجيئه... إلى آخر ما اضطرب فيه فكر سيِّد ـ عفا الله عنَّا وعنه ـ وتناقض بين الإثبات والوجود وبين الحقيقة والتَّخييل، والتجسيم التصويري.

❁ ❁ ❁

خاتمة البحث

أ) كشف سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ أهمَّ سبب لخروجه عن منهاج السَّلف في كثير من مواضع الجدل في فكره؛ فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجنّ: ٨، ٩]: **(فأمَّا الذين يرون في هذا كلِّه مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذِّكر من الالتباس بالباطل، وأنَّه لا يجوز أن يؤخذ على ظاهره، فسبب هذا عندهم [وعند سيِّد ـ كما تقدم ـ عفا الله عنَّا وعنه][(١)]؛ أنَّهم يجيئون إلى القرآن بتصوُّرات مقرَّرة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن، [بل من فكر الفلاسفة والمتصوفة والمعتزلة والأشاعرة والملحدين][(١)] ثم يحاولون أن يفسِّروا القرآن وفق تلك التصورات، [بل هم يُحِلُّون ما حرَّم الله من التشريع بغير إذنه، ويحرِّمون ما أحلَّ الله من التَّملُّك بغير العمل أو أكثر من الحاجة، أو الضرب في الأرض**

---

(١) ما بين المعقوفين إضافة من المؤلف.

ابتغاء فضل الله][1] . . . من أين جاؤوا بهذه المقرَّرات التي يحاكمون إليها نصوص القرآن والحديث؟

إنَّ الطريقَ الأمثل [بل الوحيد][1] . . فهم القرآن وتفسيره [وفق بيان النبي ﷺ وفهم وتفسير صحابته وتابعيهم في القرون المفضلة رضي الله عنهم أجمعين][1]، ومن ثَمَّ لا يُحَاكم القرآن والحديث لغير القرآن [والحديث بفهم الأئمَّة الأُوَل][1]، ولا يُنْفَى شيء يثبته القرآن [والسُّنَّة][1] ولا يؤوَّل، ولا يثبت شيء ينفيه القرآن [والسنَّة][1] أو يبطله، نقول هذا للمؤمنين بالقرآن، وهم مع ذلك يؤوِّلون نصوصه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود).

ثم كتب في الحاشية: (وما أبرئ نفسي، إنِّي فيما سبق من مؤلَّفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه (الظلال) [بل وفي الأجزاء الوسطى والأخيرة كما تقدم][1] قد انْسَقت إلى شيء من هذا [وغيره][1]، وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وفَّق الله، وما أقرره هنا هو ما أعتقده الحق بهداية من الله).

(في ظلال القرآن ص٣٧٣٠ ـ ٣٧٣١ ط.دار الشروق)

وقد توفَّاه الله دون أن يتدارك ما تبيَّنه من أخطائه وما لم يتبيَّنه، ولا أظن ورثته هداهم الله وأخصُّ من تولّى كبره منهم: أخاه الأستاذ محمد قطب يَسْلَمون من الإثم بإصرارهم على الاستئثار

(١) ما بين المعقوفين إضافة من المؤلف.

دونه بالمغنم من ريع الطباعة، ويشاركونه أو ينفردون بالمغرم لنشر أخطاء بالغة تسيء إلى الإسلام والمسلمين أعلَنَ رَحِمَهُ اللَّهُ العزم على الرجوع عن أحدها، وكذلك لا أظنُّ القائمين على الطباعة والنشر في العالم المسلم يَسلَمون مِنَ الإثم، إذا لم يتداركوا هذا الأمر، ويوقفوا نشر هذه الأخطاء، بل هذه الكتب وأمثالها.

ب) ركز سيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ أكبر جهده واهتمامه على ما سمَّاه الحاكميَّة والتشريع؛ وأدخل فيه اتِّباع التقاليد والأعياد، والعادات والأزياء، مِمَّا لا يتجاوز الصغيرة إذا كان معصية، وأهمل أكبر الكبائر التي أحاطت به من المهد إلى اللَّحد (لو وُجِد اللَّحد): أوثان وأنصاب الجاهلية في كلِّ زمان ومكان منذ قوم نوح: المزارات، والمشاهد، والمقامات، والأضرحة؛ أصل آلهة قوم نوح، بل هوَّن ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ من أمر الأوثان والأصنام التي أرسل الله جميع الرسل لهدمها بأنها ساذجة، لم يُشرك الأولون بسبب التقرب والاستشفاع بها إلى الله، ولم يُسلِموا بتركها واعتقاد أن لا إله إلا الله، والتعبُّد لله بأركان الإسلام، كما تقدم ص(٦٠).

ج) وركَّز رَحِمَهُ اللَّهُ جهده وهمَّه على محاربة الثروة، وما تنتجه من فروق الطبقات، وأُنسي قول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقاده هذا الخطأ إلى الوقوع في عرض عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وعدد من كبار الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وتحريم الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، والتملك بغير العمل.

وقاده هذا الخطأ إلى إباحة أو إيجاب نزع الملكيات وتأميم الممتلكات الشرعيَّة، والاستيلاء على نسبةٍ من الربح أو رأس المال، وفرض الضرائب على التّركات، والثورة على الحاكم إذا فضّل بعض الناس في توزيع المال العام.

د) تناقَضَ فكره رَحِمَهُ اللَّهُ واضطرب بين إثبات أحديّة الوجود (الصوفية الوثنيَّة) ونفي وحدة الوجود، وبين موادَّة الكافرين غير المحاربين ونفيها (باختلاف العقيدة)، وبين الحثّ على التمتُّع بالحياة الدنيا إرضاء لله ولَمزِ صحابي مبشَّر بالجنة بأنَّه بنى دارةً بالعقيق رفع سمكها وأوسع فضاءها، وبين تقريره اتساع المال العام عن المقررات للناس في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وادِّعائه تفشي الفقر والبؤس، ومثل هذا كثير يصعب إحصاؤه. ولو كان من أهل العلم لقيل: مجتهد أخطأ وله أجر، ولكن أكثر محسني (وكل مسيئي) الظن به ينفون عنه العلم.

هـ) استند في غالب فكره على روايات الأخباريين والمؤرِّخين بغير إسناد، وعلى رأيه في تفسير القرآن الذي صرَّح بمخالفته للسَّلف منذ زمن نزوله؛ بل استند في فقه أهمِّ الأحكام في نظره على رواية عن عبد الرحمن عزام عن قبيلة الطّوارق تؤيد اشتراك الناس في المال، ونفى الحاجة إلى علوم الأزهر بدليل أنَّه ألَّف كتابين عن الإسلام دون الرجوع إليها [بل إلى الفكر والظّنّ، وكتب التاريخ، وآراء واصطلاحات الموسيقيين

والرَّسامين والممثّلين والمصوِّرين في تدبُّر كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه].

و) لعلَّ تأثيره في الأمة منذ تحوَّل ممّا سمّاه بعض مؤيِّديه رحلة الشكّ والضياع إلى ما سمَّاه بالفكر الإسلامي إلى اليوم أعظم من تأثير أي مفكِّر مسلم آخر، وبخاصة في قضايا الحكم والمال.

وإني لا أكاد أشكُّ في أن فكره كان المحرِّك الأول للثورة المصرية، فيما خرجت فيه من شرع الله إلى الفكر الاشتراكي، وبخاصة في مسائل نزع الملكية، وتأميم الممتلكات الخاصة، وفكرة (العاطلين بالوراثة) عندما كان (يعمل مع قادتها ومع من يحيط بهم أكثر من اثنتي عشرة ساعة يوميًا بضعة أشهر).

(لماذا أعدموني ص١٢ و١٤)

وكان تأثير فكره واضحًا في وجود جماعات التكفير، وأحزاب التحرير والجهاد، لتركيزه على قضايا فكريَّة غير شرعية مثل: (لا طاعة لإمام غير عادل، ولو كان يقرّ أنَّ الحاكمية [العبوديَّة عنده] لله وحده، ويحكم بشريعة الله ولكنَّه لا يعدل في الحكم؛ استنادًا إلى روايات لم تثبت عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم).

(العدالة الاجتماعية ص١٥٨ ـ دار الشروق ١٤١٥هـ)

وفي هذا مخالفة صريحة لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر، واليسر،

والمنشط، والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألاَّ ننازع الأمر أهله» متفق عليه.

ومثل قراره أنَّ (قاعدة الإسلام الأصيلة في الحكم: اختيار المسلمين المطلق هو المؤهل الوحيد للحكم) المخالف لكلِّ الولايات الشرعية في القرون المفضلة منذ عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والموافق لحكم الأكثريّة في النّظم (الديموقراطيّة) القانونيّة.

ز) و(نحن نقول: غفر الله لسيِّد) إقدامه على تأويل كتاب الله بغير علم، ومخالفة فقهاء ومحدِّثي ومفسِّري هذه الأمَّة في المنهاج والأسلوب، ومرة أخرى نقرِّر أنَّنا لا نَشُكُّ في صلاح نيَّتِه ورغبتِهِ في خدمة الإسلام، وأنَّه حريٌّ بتصحيح أخطائه لو عرف طريق الحق من نصوص الوحي بفهم أئمَّة العلم في القرون المفضلة، ولم يعتمد على تصوراته كما قال عن نفسه وعن غيره من المفكِّرين.

وجزى الله العلماء العاملين خير جزائه على محاولتهم رَدَّ شباب الأمَّة إلى شرع الله، وتحذيرهم من فكر التصوُّف والتَّكفير والانعزال والخروج على ولاة أمرهم وعلى السُّنّة والجماعة.

وجزى الله المدافعين عن سيِّد خير جزائه على حسن ظنِّهم بأخيهم المسلم، ولا أكاد أشك في بيانهم الحق لو قرؤوا كتب سيِّد قطب المذكورة وعرفوا ما فيها من ضلال.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وأتباع سنَّته إلى يوم الدِّين، وعلى جميع رسله وأوليائه.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
خطبة الحاجة من صحيح مسلم	٥
مقدمة عن حياة سيِّد قطب الفكرية	٦
ميزان النقد الشرعي	١٦
أهمُّ مواضع الجدل في فِكرِ سيِّد	٢٠
أوَّلاً: ذمُّ موسى عليه السلام	٢٠
ثانيًا: ذم عثمان رضي الله عنه وانتقاص عهده	٢٣
ثالثًا: لَمز عَدَدٍ مِن الصَّحابة رضي الله عنهم	٢٨
رابعًا: القول بأحديّة الوجود والكينونة	٣٧
خامسًا: إباحة التشريع الجديد للمصلحة والعُرف	٥٢
سادسًا: جهل معنى لا إله إلا الله، والخلط بين الألوهيَّة والربوبيَّة .	٥٦
سابعًا: تكفير المسلمين عامَّة	٦١
ثامنًا: القول بخلق القرآن	٦٨

الموضوع	الصفحة

تاسعًا: تأويل الصِّفات ٧٠
عاشرًا: منهاج سيِّد وأسلوبُه في التفسير ٧٤
فكر سيِّد قطب في رأي بعض علماء الأمّة ٨٥
فكر سيِّد قطب بين بكر وربيع ٩١
خاتمة البحث ٩٧
فهرس المحتويات ١٠٣